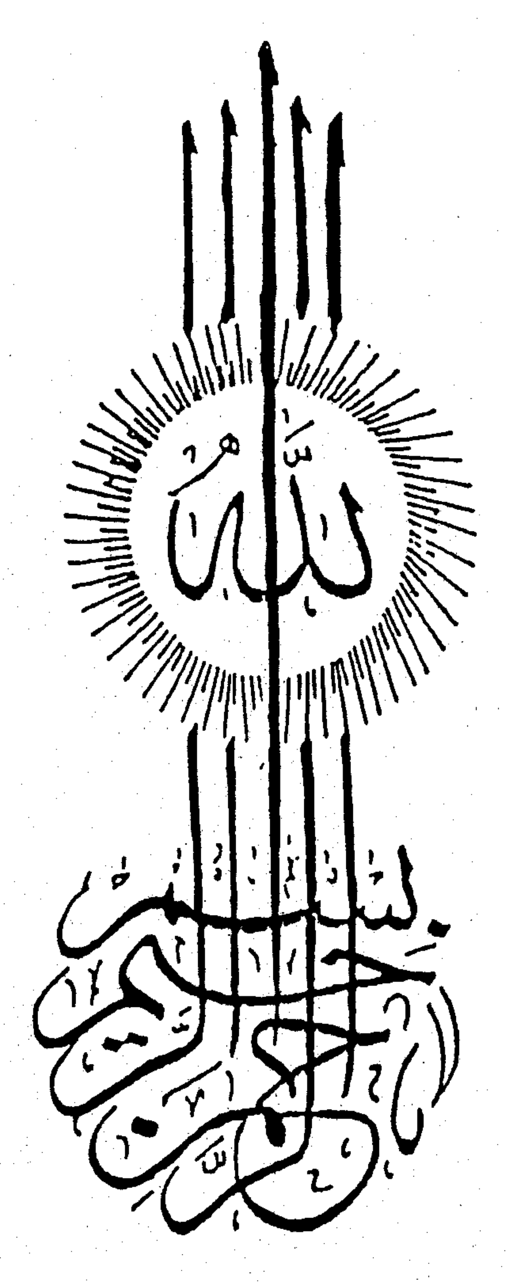
الجمهوريات الإسلامية

في وسط آسيا

الحاضر والمستقبل

دكتور
أحمد عبدالقادر الشاذلي
كلية الآداب - جامعة المنوفية

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م



سبحانك

لاعلم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم

- صدق الله العظيم -

سورة البقرة ايه ٣٢

اهداء

إلى إبني محمود أصغر ابنائي



بسم الله الرحمن الرحيم

وقف المستشار الدكتور محمد شوقي الفنجري

العالمية جائزة

خدمة الدعوة والفقه الإسلامي

شهادة

تشهد لجنة الجائزة المشكلة بموجب

حجة الوقف رقم ١٨٥ ٧/ج لسنة ١٩٩٣ توثيق الجيزة

برئاسة المستشار رئيس هيئة قضايا الدولة

وعضوية مفتي جمهورية مصر العربية

وأمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بأن السيد الاستاذ الدكتور / احمد عبد القادر الشاذلي

قد فاز بجائزة عام ١٩٩٤ عن بحثه في موضوع:

"الجمهوريات الاسلاميه الوليده بوسط آسيا"

وعلى الله قصد السبيل

يونيو ١٩٩٤

رئيس اللجنة وناظر الوقف

المستشار رئيس هيئة قضايا الدولة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أنطق العرب لسانا، وأفصحهم كلاما وأبلغهم بيانا .. أما بعد

لم تعرف الخريطة الجغرافية للعالم الإسلامى حدوداً فاصلة بين جنبات الوطن الكبير، فقد ترامت أطرافه فى عصور الازدهار - عصور الخلافة الإسلامية - على امتداد عدة قرون متوالية من القرن الأول الهجرى حتى القرن الثالث عشر الهجرى، خلال هذه القرون الطويلة؛ كان عالمنا الإسلامى يمتد من بلاد الصين والهند الصينية فى أقصى الشرق إلى مراكش والأندلس فى الغرب، ومن أواسط إفريقيا وجزر المحيط الهندى جنوباً إلى جنوبى سيبيريا شمالاً، وكانت أجزاء كبيرة من أوربا تخضع لنفوذ المسلمين.

فى ذلك الوقت، لم يعرف المسلم حدوداً لوطنه الكبير، لأن معظم بلدان العالم القديم كانت موطأ له، ينتقل من بلد إلى بلد دون عائق، ولعل ابن بطوطة وابن فضلان وابن جبير وغيرهم ممن جابوا العالم الإسلامى قد أوضحوا لنا مساحة هذا العالم الواسع خلال وصفهم للبلاد التى زاروها.

ولما تكالبت علينا الدول، وأُرغمنا على إسقاط "الخلافة الإسلامية"؛ التى كانت رابطاً يلتف حوله الجميع، وسياجاً يحتمى به المسلمون، تمزقت أوصال الدولة الإسلامية، فضاعت أملاك المسلمين فى الأندلس، وأنقض الأوربيون على أملاك الأتراك العثمانيين فى أوربا، ولم يتركوا لهم إلا جزءاً يسيراً يطل على بحر إيجه، واستولوا على البوسنة والهرسك وسنجق وكوسوفو وكل دول البلقان، وأعادوا تشكيل خريطة أوربا الشرقية.

وفى آسيا استولى القياصرة على أملاك أمراء المسلمين فى وسط آسيا والقوقاز، وضموا إلى إمبراطورية القياصرة أملاك التاتار والأنجوش والشيشان والبلكار والكاباردين والأبخاز والقره شاى والشركس والأوديج والباشكير والداغستانيين والأوستين والقزاق والأزبك والتاجيك والقرغيز والتركمان والآذريين .. وجميع هؤلاء من القبائل الإسلامية التى كانت خاضعة لحكم أمراء وخانات وملوك مسلمين.

واصل البلاشفة الروس الذين حلوا محل قياصرة روسيا سياسة ضم الممالك الإسلامية حتى وقعوا مع الإنجليز معاهدة تجعل حدود السيطرة بينهما هى حدود أفغانستان الشمالية، ويعنى هذا أن يصبح ماوراء هذه الحدود شمالا تحت نفوذ الاستعمار الروسى، وما يقع جنوبها ضمن أملاك الاستعمار الإنجليزى.

وعمل الروس على بلشفة الممالك الإسلامية، وتقطيع أواصر العلاقة بينهم وبين جيرانهم فى إيران وتركيا وأفغانستان، بل عملوا على قطع أى نوع من العلاقة بين المسلمين داخل الاتحاد السوفيتى وخارجه، وقاموا بعدة إجراءات كان الهدف من ورائها محو الهوية الإسلامية تماما ومن هذه الإجراءات:

* **إعادة تشكيل الخريطة الجغرافية للمنطقة، وتجزئة المنطقة الإسلامية إلى عدة جمهوريات وأقاليم.** وكانت قبل ذلك منطقة واحدة تسمى باسم "تُركستان" أى بلاد الترك.

* **النفى الجماعى للمسلمين عن بلادهم إلى مناطق روسية فى**

سيبيريا. والاستيلاء على أراضى وأملاك المسلمين لإجبارهم على الهجرة إلى مناطق أخرى.

* **تهجير الروس إلى المناطق الإسلامية وإحلالهم محل المسلمين** حتى وصل نسبة الروس فى بعض الدول الإسلامية فى وسط آسيا ٤١٪ كما هو الحاصل فى كازاخستان و ٢٦٪ فى قرغيزستان.

* **ترويس المناطق الإسلامية باستخدام اللغة الروسية** وإحلال الخط الروسى محل العربى فى الكتابة.

* **تهجير جماعات مسيحية من مناطق البلطيق إلى الجمهوريات الإسلامية** عن طريق الضغط عليهم أو لاستخدامهم لمراقبة المسلمين أو لخوف هذه الجماعات من الخطر القادم من ألمانيا.

* **مسخ الهوية الإسلامية بمنع وتحريم العبادات الإسلامية ومنع إرتداء الحجاب وإغلاق المحاكم الشرعية والمدارس الدينية والمساجد ومنع السفر للحج ومنع أداء الزكاة والصوم وتحريم طبع القرآن والمباحث الدينية.**

وعلى الرغم من كل هذه الأساليب إلا أن المسلمين حافظوا على إسلامهم بين جوانحهم حتى انزاح عن كاهلهم كابوس الشيوعية، وفشل رموزها من الحفاظ على كيانها.

لقد تناولت أقلام كثيرة تاريخ وأحوال المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا، وظهرت كتابات عديدة فى صور وأشكال مختلفة سواء فى كتب أو صحف أو مجلات، فى دراسات أو أبحاث.

ولقد شغل ذهنى أحوال المسلمين فى وسط آسيا منذ بدأت دراساتى فى المشرق الإسلامى، حتى بدأ الاتحاد السوفيتى يترنح تحت وطأة المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وانفرط عقده، واستقلت الجمهوريات الإسلامية وغير الإسلامية واحدة تلو الأخرى؛ بعد أن حملت بعض الجمهوريات عبء المواجهة، حيث ثار الآذربايجانيون، ونهض التاجيكيون، وتلقاها التركمانيون والأزبك والقزاق بقبول حسن، وكونت هذه الدول رابطة كومنولث الدول المستقلة، وقد تابعت هذه الأحداث منذ بدايتها، وشاركت بعدة مقالات نُشرت خلال أعوام ٩١ - ٩٢ - ١٩٩٣ فى صحيفة الاتحاد الصادرة فى أبو ظبى بدولة الإمارات العربية المتحدة، مسجلاً هذه التطورات، ودارساً لبواعث وعلل وأسباب مايجرى على الساحة السياسية للجمهوريات الإسلامية المستقلة فى آسيا الوسطى والقوقاز، وعارضاً لمشاكل الأقليات الإسلامية فى الاتحاد الروسى.

ولما كانت الأحداث التى تجرى فى تلك الجمهوريات تتسارع الى درجة لاتسمح بالتوقف عندها نظراً لبروز حدث آخر، لذا فإن هذا الكتاب يلاحق أحداث هذه الجمهوريات حتى أواخر شهر فبراير سنة ١٩٩٤.

والمنظور الذى أتناول من خلاله أحداث هذه الشعوب يدور فى ثلاثة محاور هى: محور محلى، ومحور أقليمى، ومحور عالمي.

أما **المحور المحلى** فإننى أتناول فيه دراسة أحوال المسلمين فى جمهوريات أزبكستان وقرغيزستان وكازاخستان وتاجيكستان وتركمانستان تاريخيا واجتماعياً واقتصاديا وثقافيا ودينيا.

كما أتعرض للأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهذه الجمهوريات الإسلامية حتى اليوم، ماذا حدث لها بعد الاستقلال، هل استثمرت هذا النصر أم أنها مازالت تتخبط فى البحث عن هوية؟

أما **المحور الإقليمى** فإنه يتمثل فى محاور الصراع الإقليمية والتى تتمثل فى المحور التركى والمحور الإيرانى والمحور الروسى، أما المحور التركى فإنه مهيأ لقيادة هذه الجمهوريات لاعتبارات أهمها: **اللغة والجنس والدعم** أما **اللغة** التى يتحدث بها شعوب تلك الدول فإنها تنتمى إلى اللغة التركية باستثناء تاجيكستان، أما **الجنس** فشعوب تلك الدول تنتمى إلى الأرومة التركية، أما **الدعم** فإنه يتمثل فى تقديم المساعدات والقروض الميسرة وعقد الاتفاقيات، وجذب الدعم الأروبى والأمريكى إلى تلك الدول.

فتركيا تمثل الإسلام السنى المذهب، العلمانى التوجه، الديمقراطى النزعة، المقبول من اوروبا وامريكا، ومن ثم فان هذا الوجه التركى قد يحظى لدى حكام تلك الجمهوريات باعتباره ليس إسلاما اصوليا - وهم حكام قد رضعوا من الشيوعية حتى الفطام - ومقبول ايضا لدى اوربا وامريكا لكونه موجه ضد التواجد الإيرانى.

اما المحور الإيرانى فيمثله الإسلام الشيعى المذهب، الثورى الاتجاه، الاصولى النزعة، المعادى للغرب واوربا، وإيران تهتم بهذا الدور لعدة إعتبارات اهمها:

البعد التاريخى والجغرافى والثقافى، اما البعد التاريخى فقد كانت هذه

المنطقة تحكمها حكومات تابعة لملوك وسلاطين إيران، أو أنها تدور فى فلكها ، أما **البعد الجغرافى** فهى دول تمثل عمقاً لإيران وكانت معظم بلدان تلك المنطقة جزءاً من خريطة إيران، أما **البعد الثقافى** فإن الثقافة الموروثة ثقافة فارسية ومن ثم فإن إيران تريد إعادة الماضى وإظهار وجهها المشرق.

ولكن إيران تواجه عقبات جمة وحملة مسعورة من قبل الغرب، أما العقبات فأهمها المشكلات الاقتصادية التى تعانى منها إيران بسبب الحرب العراقية - الإيرانية، وبسبب تجميد أرصدتها فى دول العالم، أما الحملة فمبعثها تصوير الغرب لإيران بالتوسعية وتصدير الثورة وحماية الإرهاب.

أما **المحور الروسى** فإن روسيا مازالت تعتبر هذه الجمهوريات جزءاً منها ولايمكنها الخروج عن الدائرة التى رسمتها لهم روسيا بسبب التواجد الروسى فى كل الجمهوريات سواء على المستوى السكانى أو لوجود الجيش الأحمر فى تلك الجمهوريات.

أما **المحور العالمى** فإننى أتناول الدور العربى وتمثله **مصر والمملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية. وهو دور ينقصه التنسيق بين الدول العربية وعلى الرغم من أهميته القصوى لكونه غير موجه. فإذا كان الدور التركى موجه لإجهاض الدور الإيرانى. والدور الإيرانى يقوم بنفس المهمة. فإن الدور العربى سيكون أكثر إقناعاً لو لم يكتف بتمويل رحلات الحج السنوية وقبول الطلاب الدارسين فى الأزهر. وامتد إلى النشاط الاقتصادى والعسكرى.**

ولا يمكن إهمال الدور الإسرائيلى الذى يبدى اهتمامه بهذه الدول **لتحجيم الدور الإسلامى بشكل عام. واستغلال حاجة هذه الدول إلى المعونات والقروض لإثبات تواجدها فى المؤسسات العسكرية والاقتصادية فى هذه الدول. والسعى لإيجاد سوق رائجة لبضائعها. وضمان حياد هذه الدول فى الصراع الشرق اوسطى والحيلولة دون وصول التقنية إلى الدول العربية وخاصة النووية التى ورثتها كازاخستان على وجه الخصوص.**

والخلاصة ان العرب والإيرانيين والاتراك غير قادرين على منافسة إسرائيل. فهم يكتفون بأمور معنوية وثانوية. وهؤلاء ليسوا فى حاجة إلى هذا النوع من المساعدات وإنما هم فى حاجة إلى رؤوس الأموال لاستغلال إمكانياتهم.

وتناولت فى هذه الدراسة علاقات الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا بروسيا وإيران والدول العربية، والهدف من ذلك إبراز الرؤية المستقبلية لنوعية هذه العلاقة حيث تحدثت عن يلتسين وسياسته تجاه هذه الجمهوريات وكيف أنه يريد إخضاع هذه الدول بشكل ما لسياسته عن طريق منح مواطنيه الروس فى تلك الجمهوريات "**المواطنة المزدوجة**" فى الوقت الذى يعامل فيه مواطنى الجمهوريات الإسلامية فى اتحاده الروسى على أنهم أجانب.

كما ألمحت إلى دور جرينوفسكى اليمينى المتطرف الذى ظهر فى البرلمان الروسى كصاحب أغلبية ورؤيته المستقبلية نحو **إعادة تشكيل الاتحاد السوفيتى.**

أما الجمهورية الإسلامية الإيرانية فقد تناولت العلاقات بينها وبين جمهوريات آسيا الوسطى واعتقاد بعض رجالها من ان ايران التى واجهت "الشيطان الاكبر" على حد تعبيرهم عن امريكا - قادرة على مساعدتهم للتخلص من الشيطان الاصغر ويقصدون به روسيا.

أما الرؤية المستقبلية للعرب، فإن تهميش دور الدول العربية مازال قائماً سواء بايديهم او بايدى الآخرين حيث انشغل العرب بمشاكلهم الداخلية أو المشاكل القائمة بينهم مثل غزو الكويت فى سنة ١٩٩١ واتهام ليبيا فى قضية لوكيربى، وآثار النظام العالمى الجديد على الدول العربية.

ولكن هذا الدور يمكن تطويره لو حسنت المساعى وتلافينا القصور الواقع فى حياتنا صوب هذه الدول ومشاكلها.

وتناولت فى هذا الكتاب مستقبل الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا على ضوء المتغيرات الدولية حيث ابرزت ان المتغيرات الدولية قد جعلت العالم مشغولا بنفسه حيث انكفأت اوربا على نفسها لحل مشاكلها الاقتصادية ومواجهة انخفاض قيمة عملتها وضعف التصدير. كما اسست الولايات المتحدة الامريكية مجموعات اقتصادية فى امريكا الشمالية ومع دول المحيط الهادى كما ان دول الشرق الاقصى قد اسسوا مجموعة اقتصادية باسم "النمور الاسيوية" وهذا يعنى إنشغال كل مجموعة من دول العالم بمشاكلها ومن ثم اصبح الحمل الملقى على عاتق هذه الجمهوريات ثقيلاً. واصبح العبء الاوفى عليها لإخراج نفسها من ازمتها.

وطالما يدور هذا الكتاب حول الحاضر والمستقبل كان لزاما أن أنهيه

بالحديث عن آفاق التعاون الاقتصادى والسياسى مع هذه الجمهوريات الإسلامية حيث ابرزت ان هذه الجمهوريات لن ترضى باتباع النظام الاقتصادى الغربى لأن اقتصادها قد درج على نظام اقتصادى جامد لايقبل التحول بسهولة مع ارتباطه بالنظام الإجتماعى، وان اى تغيير اقتصادى ستنعكس آثاره على المجتمع، كما أن امراض الاقتصاد الراسمالى قد تعرض هذه الدول لأزمات اشد بالإضافة إلى ان اقتصاد هذه الدول كان قائما على القطاع العام ومن الصعب تحويل القطاع العام كله إلى خاص وإلا حدثت فوضى، وهذا يفرض إتباع نظام إصلاحى لايسير على النمط الشيوعى ولا الراسمالى وإنما نظام تقبله ظروف هذه الدول.

أما من ناحية آفاق التعاون السياسى فان هذه الدول إما أن ترتبط بالشمال أو بالجنوب ليتحقق لها الوجود السياسى فى مجريات السياسة العالمية، وإذا ارادت هذه الجمهوريات التوجه نحو الكتلة الإسلامية والتى تشغل موقعاً متميزاً فى العالم فإنها بذلك تسهم فى خلق نظام إقليمى إسلامى قائم على الأرض بالفعل، وله وجود وفاعلية إذا ماطور نفسه.

إن هذه الجمهوريات يمكنها أن ترتبط بمثلث القوة الإقليمى المتمثل فى مصر وإيران وتركيا.

إن هذه الرؤية المستقبلية التى لاتخلو من وجهة نظر سياسية وإسلامية تفرض نفسها على الكيان الإسلامى بين كيانات العالم الأخرى.

وهذا الكتاب يدور حول ست نقاط :

أولها: استعراض أحوال وتاريخ؛ وأوضاع الجمهوريات الإسلامية فى

وسط آسيا؛ الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية .. منذ النشأة وحتى الآن.

ثانيها: محاور الصراع فى الجمهوريات الإسلامية تركيا - إيران - روسيا - العرب - اسرائيل.

ثالثها: علاقات الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا بالروس وإيران والعرب.

رابعها: الجمهوريات والأقاليم ذات الحكم الذاتى فى الاتحاد السوفيتى السابق.

خامسها: مستقبل الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا على ضوء المتغيرات الدولية.

سادسها: آفاق التعاون الاقتصادى والسياسى بين الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا.

إن الجمهوريات الإسلامية الوليدة فى وسط آسيا تطرح نفسها طرحاً جديداً لعلها تعيد ماضيها عندما كانت جزءاً من الدولة الإسلامية. ...... وهى بذلك تطرح نفسها كجزء من مستقبل الأمة الإسلامية.

إن هذا الكتاب قد جمع وحوى رءوى كثيرة تحتمل الصواب والخطأ فإن كانت الأولى فالحمد لله وإن كانت الثانية فحسبى أننى أجتهدت.

وعلى الله قصد السبيل

دكتور

احمد عبد القادر الشاذلى

كلية الآداب - جامعة المنوفية

تمهيـــد

إنهار سور برلين فالتقى الألمانيان، وانهار الاتحاد السوفيتى فالتقى المسلمان، المسلم القابع خلف الستار الحديدى مع أخيه المسلم فى أرجاء المعمورة.

سقط القناع عن الوجوه الكالحة التى حكمت بالحديد والنار الشعوب الإسلامية من خلف أسوار الكرملين، وبسقوط القناع ظهرت الحقائق المخزية لحكام موسكو، وتبعتها الحقائق المشرفة للرجال الذين حافظوا على دينهم وهويتهم رغم القهر والظلم والاستعباد.

لقد ظهرت على الخريطة الجغرافية للعالم الإسلامى من جديد دول كاد أن يطويها النسيان ويخفيها التاريخ ضمن ما أخفاه من دول وممالك، ولكن القدر كان يخفى البشرى لهذه الدول الإسلامية فأعادها إلى مكانها الطبيعى لترث أملاك الاتحاد السوفيتى وتقاسم حكام الكرملين فى التركة التى خلفها البلاشفة، وهى تركة ثقيلة مملوءة بالمشاكل والأحداث الغامضة، فقد ورثت هذه الدول مشاكل الحدود والعرقيات والقوميات وتوزيع الثروات وترسانة نووية وأسلحة تقليدية، وأفكاراً وأيديولوجيات متعددة.

قامت جمهوريات فى وسط آسيا على أنقاض الاتحاد السوفيتى الذى قام أصلاً على أنقاض هذه الامارات والأقاليم الإسلامية وغير الإسلامية، وهذه الدول الوليدة لا تحمل لقب إسلامية، نظراً لأن حكامها مازالوا يسيرون على النهج الروسى سواء فى توجههم الشيوعى أو التوجه صوب اقتصاد السوق، ولم يشذ عن ذلك إلا تاجيكستان * التى أراد الحزب الإسلامى الفائز فى الانتخابات تعديل اسم البلاد باسم جمهورية تاجيكستان الاسلامية مما أثار الشيوعيين وأعوانهم

* صوابها تاجيكستان وتعنى بلاد التاجيك (انظر الإصطلاح بالتفصيل فيما بعد)

الروس فاستعادوا السلطة، وقاموا بطرد الإسلاميين إلى منطقة الحدود الأفغانية الجبلية.

إن الجمهوريات الإسلامية الوليدة فى وسط آسيا هى: كازاخستان(١) وازبكستان(٢) وقرغيزستان(٣) وتاجيكستان وتركمانستان(٤) تعد امتداداً جديداً للعالم الإسلامى، وبعودتها إلى الهوية الإسلامية فإنها تطرح نفسها طرحاً جديداً حيث تفتح حدودها مع جيرانها، وتمد جذورها فى أرض الأمة الإسلامية لعلها ترتوى بعد ظمأ دام سبعين عاماً، ولعلها تعيد ماضيها عندما كانت جزءاً من الدولة الإسلامية فى عهد الخلافة العباسية وما بعدها من دول إسلامية، وإذا ما تحقق لها ذلك فإنها تطرح نفسها كجزء من مستقبل الأمة الإسلامية.

لم تتخلص جمهوريات وسط آسيا الإسلامية بعد من تراث الماضى البغيض وما زال أبناؤها يبحثون عن هوية، وما زالوا يتطلعون إلى إخوانهم فى العالم الإسلامى، وفى هذه الصفحات استعرض الوضع الحالى لشعوب هذه الجمهوريات باحثاً عن الأمل فى المستقبل من أجل تحقيق طموحات هذه الشعوب، وحتى لا تسقط فريسة لأوهام حكام موسكو.

إذا كانت نهاية الحرب الباردة قد دفعت الساسة لإعادة تحديد المفهوم الجغرافى لمنطقة الشرق الأوسط، فإن انهيار الاتحاد

---

(١) هى قزاقستان: بلاد القزاق، قوم من الترك.

(٢) أزبكستان أو أوزبكستان: بلاد الأوزبك، والأزبك قوم من الترك.

(٣) قرقيزستان: بلاد القرقيز - قوم من الترك.

(٤) تركمانستان: بلاد التركمان وهم قوم من الترك.

السوفيتى يدفعنا للبحث عن إعادة تحديد المفهوم الجغرافى لحدود الاتحاد السوفيتى مع منطقة الشرق الأوسط.

إن الحدود الجغرافية التى وضعها القياصرة الروس ونفذها البلاشفة حين اقتطعوا اجزاءً كبيرة من العالم الإسلامى وضموا إليهم ممالك ومقاطعات إسلامية كاملة، تدعونا اليوم للبحث عن تحرير من تبقى تحت هيمنة الروس، وإذا كان المسلمون فى وسط آسيا قد تحرروا سياسيا من ربقة الحكم الروسى فإن إخوانهم فى داغستان والشيشان والانجوش وتاتاستان والباشكير والشركس والابخاز والآجار والأوستين والبلكار ما زالوا تحت سيطرة الروس فى نطاق الاتحاد الروسى.

ولقد جاء جورباتشوف إلى الكرملين ليعلن سياسة البروستوريكا والجلاسنوست والنوميشلنى وهى أسس ثلاثة قامت عليه سياسته فى الاصلاح.

لم يكن جورباتشوف أول من أدرك خطأ النظرية الشيوعية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا بل سبقه بعض زعماء الكرملين الذين فكروا فى التعديل وإجراء سياسات اصلاحية محدودة ومن هؤلاء خروشوف الذى جاء عقب وفاة ستالين سنة ١٩٥٥ وعمل على التعايش السلمى فى العلاقات الدولية وتنحية الصراع بين الشيوعية والرأسمالية، كما أراد تنفيذ سياسة اللامركزية فى الاقتصاد مع الاهتمام أكثر بالزراعة واجراء تعديلات فى المزارع الاشتراكية واستثمار الأموار فى الزراعة، والتوجه نحو إنتاج بضائع استهلاكية والاستفادة من النظم الرأسمالية لزيادة الانتاج (١).

وقد أدت هذه النظرة إلى إحداث تحول عظيم فى داخل الاتحاد السوفيتى

---

(1) Hodnett (G.) "What's a Nation Problems of Communism 1967 pp. 2-14.

نفسه وفى الدول الشيوعية الأوربية وغير الأوربية ومنها المجر وتشيكوسلوفاكيا.

وحدث أيضا عندما تولى اندربوف زعامة الحزب الشيوعى بعد وفاة برجنيف سنة ١٩٨٢ حيث أدرك حجم الخطر المتزايد فى الاقتصاد والمجتمع فأمر جورباتشوف (وهو عضو فى مجلس السوفيت الأعلى) باعداد برامج اصلاح اقتصادية، وواصل جورباتشوف مهامه حتى اختير زعيما للحزب الشيوعى عقب وفاة شرنينكو سنة ١٩٨٥ فاقترح إعادة البناء الاقتصادى والاجتماعى فيما سمى باسم البرستوريكا ووافقت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى على اقتراحه فى جلسة طارئة.

وما يهمنا من البرستوريكا هو دورها فى إعادة بناء الاقتصاد وذلك بالقضاء على سوء الإدارة وعدم، ادارة الاقتصاد المركزى بالأسلوب الشيوعى[١].

وكان ذلك يعنى عدم استلاب امكانيات الجمهوريات لصالح جمهورية روسيا الاتحادية فحسب، ولا تصبح آذربايجان مجرد مُصدر للطاقة وازبكستان مجرد مزرعة للقطن وكازاخستان مجرد مزرعة للقمح.

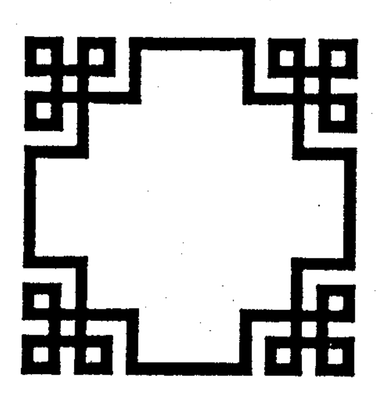
كما اهتمت البرستوريكا بالقوميات والأقوام فلم يصبح الجيش الأحمر مُهدداً لطموحات القوميات، ولم يصبح أداة قمع للأقوام الراغبة فى الاستقلال لأن البرستوريكا عملت على إظهار الوجه الإنسانى واحترام حقوق القوميات الأخرى[٢].

(1) Alexander yakovleve, The Political Philosophy of Perestroika, Edited by Abel Aganbegyan - New york - Seribner 1988. p. 36..

(٢) مجله، سياست خارجى - دفتر مطالعات سياسى وبين المللى - مجله، فصلنامه - سال چهارم پائيز ١٣٦٩هـ. ش شماره ٢ ص ٢٨٢.

كما اهتمت فكرة الجلاسنوست بحرية الفرد فى المجتمع مما يعنى أنها رسالة تحرير لتلك الشعوب المقهورة منذ سبعين عاماً.

كما أدت البرستوريكا إلى نشاط الاحزاب وحرية المطبوعات وحرية الاجتماعات والرأى.



المسلمون فى الجمهوريات الإسلامية

(البعد التاريخى - الوضع الاجتماعى - الوضع الاقتصادى -
اللغة والثقافة - المذهب والدين - المسلمون فى الوقت الحاضر)

المسلمون الأوزبك

كانت بلاد الأوزبك[1] - ازبكستان - خاضعة لأمراء الترك حين جاء ها العرب فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى - الأول الهجرى - لنشر الإسلام بين قبائل الترك فى آسيا الوسطى، وتعليم أهلها العلوم الشرعية والعربية، وظلت بلادهم تخضع للعرب المسلمين تارة ولأمراء الترك تارة أخرى إلى أن تحول أهلها إلى الإسلام، وقامت الدولة السامانية فى بخارى سنة ٢٨٠هـ [٢].

سيطر القره خانيون على بلاد الأوزبك وما يجاورها وظلت هذه القبائل التركية تحكم تلك البلاد، حتى سيطر السلاجقة الأتراك على تلك المناطق، ولكن القره خانيين تحالفوا مع الخوارزمشاهية وعادوا لحكم تلك البلاد حتى جاء المغول وهجموا على البلاد الإسلامية، واستولوا على بخارى وسمرقند وخوارزم فى أوائل القرن السابع الهجرى [٣].

ظل الأوزبك ضمن رعايا آل چغتاى الابن الثانى لجنگيزخان بينما استولى جوچى على القسم الشمالى والذى انقسم بعده إلى قسمين أحدهما؛ فى منطقة الفولجا وفيه كانت القبيلة الذهبية، وثانيها؛ الأراضى الواقعة بين سيحون ونهر ايرتيش حيث سكنت قبائل المعسكر الأبيض (اردوى سفيد).

اعتنق أحد أمراء المغول من القبيلة الذهبية (اردوى زرين)[٤] الإسلام،

---

(١) يذكر الاسم فى المصادر العربية والفارسية أوزبك وأزبك وهى قبائل تنتمى إلى أصول تركية.

(٢) انظر كتاب روضة الصفا فى سيرة الأنبياء والملوك والخلفا لميرخواند ترجمة د. أحمد الشاذلى - القاهرة ١٩٨٨ ص ٧٩ وما بعدها جـ ٤.

(٣) أقوام مسلمان اتحاد جماهير شوروى - شيرين أكينر ترجمه محمد حسين أريا - تهران ١٣٦٧ هـ. ش ص ٢٠.

(٤) قبيلهء زرين أو اردوى زرين هى مملكة قامت جنوب سيبريا وجنوبى روسيه.

ويدعى أزبك خان (١٢٨٢ - ١٣٤٢م) وقد تبعه القبائل التى تحت إمرته، ويبدو أنها سميت على اسمه.

سيطر الأوزبك على البلاد الواقعة ما بين خوارزم وجبال تيان شان، وحكمهم حكام من أنفسهم، وكان من أهمهم محمد شيبانى الذى قضى على حكم التيموريين وأقام دولة الأوزبك فى بلاد ما وراء النهر (١).

وعندما سيطر الصفويون على إيران تحالف الأوزبك والسلطان بابر بن عمر شيخ ميرزا، مؤسس الدولة المغولية فى الهند، ضد الشاه اسماعيل الصفوى، لوجود اختلاف مذهبى، حيث كان الشاه اسماعيل الصفوى يدعو للمذهب الشيعى بينما كان الآخران على المذهب السنى.

سيطر الأوزبك على البلاد الواقعة ما بين الختن وكاشغر شرقا وبلخ وبدخشان جنوباً وطشقند شمالاً فى عهد عبد الله خان الشيبانى ثم انقسمت بلادهم إلى مقاطعات يحكم كل مقاطعة أمير مستقل.

ومع أن نادر شاه أفشار قد استطاع السيطرة على كل بلاد ما وراء النهر بما فيها بلاد الأوزبك فترة إلا أنه سرعان ما عادت بلادهم مقسمة تحت حكام محليين فى بخارى وخيوه.

استقل أمير بخارى (٢) بالإقليم وأبدل لقبه من "خان" إلى "أمير" وظل يحكم الإقليم حتى قامت جمهورية بخارى فى سنة ١٩٢٠، وكذلك تحولت إمارة خيوه إلى جمهورية سنة ١٩٢٠.

---

(١) مليت هاى آسياى ميانه - حبيب الله أبو الحسن شيرازى تهران ١٣٧٠ ص ٦٨.

(٢) وهو الأمير " مير عالم ابن الأمير عبد الأحد - وكان قد تربى فى روسيا فى مدرسة سانت بطرسبرج الحربية (انظر دائرة المعارف الإسلامية - المجلد الثالث مادة بخارى من ص ٤٠١ - ٤١٩).

بدأت روسيا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر فى النفوذ إلى هذه البلاد بإرسال الوفود الاستكشافية، وعقد إتفاقيات تجارية، وأرسلت حملة غير موفقة سنة ١٨٣٩م على خيوه، ثم استولت على سمرقند وطشقند سنة ١٨٦٥م ووضعت أمير بخارى وخيوه تحت الحماية [١].

وجعل الروس تُركستان سنة ١٨٦٧م مجرد ولاية من الامبراطورية الروسية، ومدوا بها خطا حديديا بدأ من ما وراء الخزر إلى سمرقند سنة ١٨٨٨ ثم امتد إلى طشقند سنة ١٩٦٨ وإلى أنديجان فى وادى فرغانه سنة ١٨٩٩م.

أخذ الروس فى الهجرة إلى المدن الرئيسية التى يمر بها خطوط حديدية، وعمل الروس على نقل الثقافة واللغة السلافية إلى الأوزبك كما عملوا على ترجمة الأدب الروسى إلى اللغة الأوزبكية.

حاول الأوزبك التعبير عن رفضهم للوجود الروسى وقاموا بثورات فى سنة ١٨٩٨ فى انديجان بزعامة الشيخ محمد على من مشايخ الطريقة النقشبندية ولكن الحكومة الروسية، قاومت هذه الثورات وأعلنت سنة ١٩١٦ بإعفاء الأشخاص الذين يقومون بتأدية الخدمة فى وحدات مدنية من الخدمة العسكرية[٢].

وقامت الثورة البلشفية فى سنة ١٩١٧، وفى إبريل سنة ١٩١٨ قامت جمهورية تركستان ذات الحكم الذاتى كجزء من الاتحاد الفيدرالى الروسى، وانقسم المسلمون فى تركستان على بعضهم البعض، وزكى الانجليز الانقسامات حتى شاعت الفوضى فى نواحى فرغانه وسمرقند وسيردريا، فأرسل الروس القائد فرونزى وكويبيشف لإخضاع تركستان حيث قاما سنة ١٩١٩ باسقاط

---

(١) انظر: تاريخ بخارى لفامبرى ترجمة د. أحمد محمود الساداتى.

(٢) مليتهاى أسياى ميانه ص ٧٢.

الأمراء المستقلين فى بخارى وخوقند وخوارزم وتحويل تلك الإمارات إلى جمهوريات وحددوا حدودها، وجعلوا هذه الحدود بين قوميات ولغات، فجعلوا لكل من الأوزبك والتركمان والقرغيز والقزاق والتاجيك جمهورية مستقلة ذاتيا داخل الاتحاد السوفيتى.

قامت جمهورية الأوزبك فى ٢٧ نوفمبر ١٩٢٤، وضمت سمرقند وأمودريا وسردريا وفرغانة وجزء من بخارى وجزء من خيوه، وكانت تاجيكستان جزء من أزبكستان حتى سنة ١٩٢٩، ثم استقلت عنها لتصبح جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتى.

وداخل اوزبكستان جمهورية قراقالپاق ذات الاستقلال الذاتى، والتى كانت من قبل ضمن الاتحاد الروسى حتى سنة ١٩٣٦، كما انضم إلى ازبكستان جزء من استب هنكرى من قزاقستان سنة ١٩٦٣ مع تعديل جزئى للأرض الازبكستانية.

ظل الأوزبك تابعين للاتحاد السوفيتى حتى جاء ميخائيل جورباتشوف فى مارس ١٩٨٥ إلى الكرملين عقب وفاة شرنينكو السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى، وأدرك الأزمة العميقة التى تعانى منها البلاد اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، ففكر فى إعادة بناء الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية (١)، وأقام تفكيره على ثلاثة أسس هى:

١- البروستوريكا وتعنى إعادة البناء الاقتصادى (Perestroika)

٢- الجلاسنوست وتعنى إعادة البناء والمصارحة (Glasnost)

---

(١) مجله سياست خارجى - دفتر مطالعات سياسى وبين المللى شماره يكم سال پنجم ١٣٧٠ هـ. ش - گورباچف وسياست خارجى شوروى ص ٩٥ - ١٠٥.

٣- والنوميشلنى ويعنى التفكير الجديد (Novoye Mishleneye)[(١)]

وقد اشتهرت فكرة البروستوريكا لما تعنيه من تسريع للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع السوفيتى [(٢)].

لقد أدت سياسة التحرر التى أطلقها جورباتشوف إلى استقلال الأوزبك فى جمهوريتهم ازبكستان ولم يكد يمر عام ١٩٩٠ حتى استقلت ازبكستان، وانضمت بعد ذلك إلى رابطة الدول المستقلة المسماة بالكومنولث.

وقد تأسس فى ازبكستان عدة احزاب سياسية أهمها الحزب الشيوعى والحزب الإسلامى والحزب الديمقراطى، أما الحزب الشيوعى تحت زعامة عبد الرحيم پولت اوف فهو امتداد للحزب الشيوعى فى وسط آسيا والمدعوم من روسيا الاتحادية، وقد أسس الأوزبك حزباً آخر فى أوائل ١٩٩٠ وهو الحزب الديمقراطى (اى - آر - كا) بزعامة محمد صالح واركين وحيد اوف، وقام حزب آخر هو حزب الاستقلال وهو حزب ليس لديه ميول إسلامية [(٣)].

وقد عملت الأحزاب الأوزبكية على المطالبة بالاستقلال واتخاذ اللغة المحلية لغة رسمية للبلاد، والسيطرة على المواد الأولية، وتقسيم الأراضى الزراعية واقامة علاقات اقتصادية وثقافية مباشرة مع الدول الأجنبية، والعمل على نشر الإسلام وبثه فى التراث الثقافى والاستفادة منه فى خلق قيم أخلاقية جيدة تحل محل الأفكار الشيوعية [(٤)].

---

(١) مجله، سياست خارجى شماره سوم سال چهارم پاييز ١٣٦٩ ص ٢٧٨.

(2) Mikail Gorbachev, Perestroika: New Thinking for our country and The World, New york Harper and Row, 1987) pp 44-50.

(٣) مجله، سياست خارجى سال پنجم بهار ١٣٧٠ صاحب امتياز على أكبر ولايتى - شماره أول ص ٦٤.

(٤) روزنامه، نيمروز چاپ لندن شماره ١٤٧ سال سوم جمعه دى ماه - ١٣٧ ص ١٥.

يقطن جمهورية ازبكستان أكثر من عشرين مليون على مساحة ٤٤٧ ألف كيلو متر مربع، ويشكل الأوزبك ٧١٪ من عدد السكان بينما يشكل الروس ٨٪ والتاجيك ٥٪ واقليات أخرى من التاتار والقزاق واليهود والتركمان والأرمن.

ويعتنق الأوزبك الدين الإسلامى على المذهب السنى ويوجد أقلية شيعية أثنى عشرية فى الأرياف والقرى.

الوضع الاجتماعى:-

على الرغم من أن الروس يشكلون نسبة ضئيلة إلا أنهم كانوا يعادلون قرابة المليون وهو عدد لا يستهان به من مهاجرين مثقفين يعملون فى ظل حماية الحكومة المركزية، وكان الجيش الأحمر يعمل على حمايتهم.

> كان من المنتظر أن يحدث صراع طبقى بين الأوزبك والروس كما يحدث فى تاجيكستان إلا أن هذا الوضع لم يحدث بسبب استمرار سيطرة الحكومة الشيوعية الموالية لموسكو على مقدرات البلاد، ولعلنا نتساءل: لماذا لم تتحرر الحكومة فى طشقند من نفوذ حكام موسكو؟ والإجابة على هذا السؤال فى غاية البساطة وهى أن المتغيرات الإقليمية والعالمية لم تسمح لحكام ازبكستان بالتحول كما أن خضوع بلادهم لسبعين عاماً لموسكو وارتباطهم بها اقتصاديا وعسكريا وسياسيا وثقافيا ردحاً طويلا من الزمن لا يسمح لهم بالتحول بين عشية وضحاها.

إن حكام طشقند قد استطاعوا التغلب على الصراع الطبقى المحتمل (١)- على الرغم من هروب الكثيرين من الروس والأقليات الأخرى إلى موسكو، تخوفا

(١) انظر مقالى بعنوان " النزعات القومية وانعكاساتها على الجمهوريات المستقلة" المنشور فى صحيفة الاتحاد والصادرة بابوظبى فى ١٩٩٣/١/٢٠

مما قد يحدث لهم.

استطاع الأزبك أن يتعايشوا مع الروس ويستفيدوا منهم، ويتعلموا علومهم ويأخذوا ما لديهم من مهارات مما أدى إلى تواجدهم فى كل ساحات العمل.

إن التواجد الأزبكى فى مواقع العمل والإنتاج قد أسهم فى القضاء على إمكانية وجود صراع طبقى.

وقد شارك الازبك الروس فى أعمالهم، وتواجدت المرأة فى كل مواقع العمل، وكانت سياسة جوربا تشوف قد فتحت أبواب المشاركة والتعاون والتحق الأزبكيون بالمدارس حتى أن عدد التلاميذ قد تخطى الخمسة ملايين كما أن مؤسسات التعليم العالى فى ازبكستان قد تخطت اثنين واربعين معهداً (١).

الوضع الاقتصادى:

إن أكثر بلاد الازبك تقع بين نهرى جيحون (آموديا) وسيحون (سردريا)، ومع ذلك فإن جزءاً رئيسيا منها صحراء تقع فى الجنوب الغربى وهى صحراء قزل قوم والجزء الجنوبى الشرقى جبلى.

وازبكستان غنية بموارد طبيعية، ففيها احتياطى وفير من الغاز الطبيعى، ومن النفط والفحم، وبها النحاس واليورانيوم والذهب والتنجستاين.

ومن الصناعات القائمة فى ازبكستان صناعة استخراج الغاز والبترول، وصناعة آلات النسيج حيث يوجد بها أهم مصنع إنتاج لآلات نسج القطن، كما يوجد بها صناعات كيميائية وصناعة الحديد والصلب والصناعات الغذائية.

أما من ناحية الزراعة فان بها أهم مزارع انتاج القطن فى الاتحاد السوفيتى السابق، كما يوجد بها مزارع لإنتاج الكتان والفواكه والخضروات.

(١) مليتهاى أسياى ميانه حبيب الله أبو الحسن شيرازى تهران ١٣٧٠ ص ٧٤.

ويوجد بها مزارع تربية دودة القز حيث تنتج كميات وفيرة من الحرير.

اللغة والثقافة:

يتكلم الأزبك اللغة الأزبكية وهى إحدى اللغات التركية الشرقية، وهى تضم عدة لهجات أهمها: الطشقندية والسمرقندية والبخارية والإنديجانية والخوقندية.

وتأخذ اللغة الأزبكية الكثير من مفرادتها من اللغة الفارسية والعربية، كما أن كثيراً من الألفاظ الروسية قد دخلت فيها، فى السنوات الأخيرة كانت الألفاظ الإسلامية تسير جنباً إلى جنب مع الروسية.

ولغة التدريس فى مدارس أزبكستان هى اللغة الأزبكية فى المراحل الابتدائية والاعدادية وتستخدم اللهجات المحلية أيضاً فى التدريس.

ويوجد بالإضافة إلى المؤسسات التعليمية جامعتان هما: جامعة آسيا الوسطى بطشقند والمؤسسة سنة ١٩٢٠ والتى أطلق عليها جامعة لينين الحكومية سنة ١٩٦١، وجامعة على شير نوائى فى سمر قند المؤسسة سنة ١٩٣٣، كما يوجد عدد من المعاهد المتخصصة فى الزراعة والطب.

أما برامج الإذاعة والتلفاز فإنها تبث باللغة الأزبكية وأيضاً بالروسية كما توجد بعض البرامج باللغات التاجيكية والأويغورية والقراقالپاق والتاتارية. ومنذ عام ١٩٧٥ بدأت الإذاعة فى طشقند تبث برامج على الموجه القصيرة باللغة الإنجليزية والفارسية والعربية والهندية والأردية.

وتصدر الصحف فى أزبكستان باللغة الأزبكية والروسية واليونانية والتاجيكية والتاتارية.

المذهب والدين:

الأزبك مسلمون سنيون على المذهب الحنفى، والمكتب الرئيسى للدعوة

الإسلامية فى آسيا الوسطى يقع فى طشقند، ويستقر على رأس المكتب شمس الدين خان بن ضياء الدين خان بابا خان أوف منذ سنة ١٩٨٢، وقد حل محل أبيه ضياء الدين (١٩٥٧ - ١٩٨٢) وجده عبد المجيد خان (١٩٤٣ - ١٩٥٧) وقد تلقى ضياء الدين تعليمه فى الأزهر الشريف، والمدرستان الدينيتان الوحيدتان فى الاتحاد السوفيتى السابق كانتا فى أزبكستان، إحداهما فى بخارى وهى مدرسة ميرعرب وقد تأسست فى سنة ١٥٣٦م وأُغلقت عقب الثورة البلشفية، وأُعيد فتحها بعد الحرب العالمية الثانية، والمدرسة الثانية هى المعهد العالى للإمام إسماعيل البخارى فى طشقند، وقد أُغلقت أيضاً عقب الثورة البلشفية ثم اعيد فتحها سنة ١٩٥٨ وأُغلقت، ثم أُعيد فتحها سنة ١٩٧١، ومن هاتين المدرستين تخرج العلماء الدينيون.

ومن الملاحظ أن إقليم أزبكستان كان مقرا للتصوف الإسلامى، وتعد بخارى وخيوه مركزين هامين من مراكز تعليم الصوفية، وقد انتشرت مراكز التصوف فى كل جنبات العالم الإسلامى إمتداداً من أزبكستان، فقد كان نجم الدين كبرى (١١٤٥ - ١٢٢١م) فى خيوه يقوم بتعليم طريقة عُرفت باسم "الكبروية" وكان بهاء الدين نقشبند (م ١٣١٨) فى بخارى ينشر الطريقة النقشبندية المعروفة بطريقة "خواجكان" وشاعت الطريقة النقشبندية فى كل آسيا الوسطى والقوقاز والفولجا والأناضول وكردستان والهند، وتعد الآن أكبر فرقة تصوف، بل إن مدفن بهاء الدين بالقرب من بخارى مزاراً يعادل فى تصور الكثيرين، زيارة الكعبة.

والطرق الصوفية الشائعة فى أزبكستان هى الكبروية فى خيوه، والقادرية فى فرغانة والجشتية فى خوقند . لقد ذكر اسكيلر الذى زار طشقند فى القرن العاشر الميلادى أن بها ثلاثمائة مسجد(١).

(١) مليتهاى آسياى ميانه ص ٨١.

أزبكستان اليوم

على الرغم من إستقلال جمهورية أزبكستان عن الاتحاد السوفيتى السابق، إلا أنها ظلت تدور فى فلك نفس النظام (١)- أى المحور الروسى حيث انضمت إلى رابطة دول الكومنولث للدول المستقلة، وهذا وضع طبيعى لجميع الدول المستقلة حيث أن الدولتين اللتين رفضتا الانضمام لدول الكومنولث وهما جورجيا وأذر بايجان قد عانتا الأمرين من روسيا، وقامت روسيا باثارة القلاقل داخلهما، واجبرت حكامهما على الانضمام إلى الكومنولث فى أكتوبر ١٩٩٣.

أما أزبكستان فإنها قبلت منذ البداية الانضمام إلى الكومنولث، إلا أنها لم تجن ثمار الانضمام وإنما أرادت الحفاظ على مالديها من إمكانيات، ففى الوقت الذى تحظى فيه روسيا بكل المساعدات الغربية والأمريكية واليابانية، وتقدم المليارات إلى موسكو، يقف باقى دول الكومنولث موقف المتفرج (٢)، ويكفيهم أن تكف روسيا يدها عنهم.

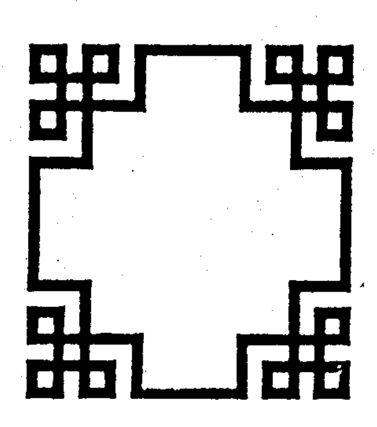
إن أزبكستان تعيش مرحلة تغيير شاملة، تغيير سياسى واقتصادى واجتماعى وثقافى، ومن ثم فإن عيونها نحو الخارج، تبحث عن المساعدات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، تريدها من أى جهة كانت حتى وإن كانت من قبل إسرائيل، التى زارها رئيسها إسلام كريموف فى شهر أكتوبر ١٩٩٣ عقب زيارته لمصر.

---

(١) انظر مقالى بعنوان "سياسة ملء الفراغ فى الجمهوريات الإسلامية المستقلة" بصحيفة الاتحاد الصادرة بأبو ظبى فى ١٩٩٣/١/٢

(٢) انظر مقالى بعنوان: هل تنقذ المليارات يلتسين؟! المنشور بصحيفة الاتحاد الصادرة بأبوظبى فى ١٩٩٣/٤/١٩.

ولكى نقف على الوضع الحالى فى أزبكستان لابد أن نعرف المحاور الإسلامية المتصارعة من أجل استقطاب أزبكستان، وهذه المحاور فى جملتها طيبة ومساعيها حميدة إلا أنها متناقضة، فهى وإن كانت تعمل على جذب أزبكستان إلى الهوية الإسلامية على أى شكل، فإنها بذلك تسهم فى إخراجها من تحت عباءة السيطرة الروسية، وهذه المحاور هى نفسها المحاور التى تلعب دورها فى كل الجمهوريات.



محاور الصراع فى الجمهوريات الإسلامية

تتصارع عدة محاور من أجل السيطرة على الجمهوريات الإسلامية الوليدة فى وسط آسيا والقوقاز وأهم هذه المحاور المتصارعة:

١- تركيا التى تمثل الإسلام السنى المذهب، العلمانى التوجه، الديمقراطى النزعة، المقبول من أوربا وأمريكا.

٢- إيران التى تمثل الإسلام الشيعى المذهب، الثورى الإتجاه، الأصولى النزعة، المعادى للغرب وأمريكا.

٣- العرب ويمثله المحور السعودى والمصرى والخليجى، وهو محور ثقافى دينى أكثر منه سياسى، محور ينقصه الإدراك الحقيقى لأهمية وموقع الدول الإسلامية فى وسط آسيا، ومن ثم فإن التوجه العربى فى حاجة إلى تعميق الدور وتأصيل الحركة وتوحيد التوجه وإدراك الأهمية.

أما تركيا التى تتجاذب شد الحبل مع إيران فهى مهيأة لقيادة الدول الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز (١) وذلك لعدة إعتبارات:

أولها: إن جميع دول الكومنولث الإسلامية تتكلم لغة تنتمى إلى اللغة التركية، ففى أزبكستان يتحدث الأزبك اللغة الأزبكية التى تضم مفردات تركية كثيرة فهى تركية الأصل والتركيب.

ثانيها: إن الأوزبك هم فرع من الأرومة التركية، ولذلك فإن تراثهم الثقافى والفكرى ينتمى إلى الجنس التركى.

---

(١) روزنامه، كيهان چاب لندن شماره ٤١٠ پنجشنبه چهارم تير ١٣٧١ - ٥ ژوئن ١٩٩٢.

ثالثها: إن تركيا مدعومة من قبل أوربا وأمريكا بسبب سعيها الدائم نحو "الأوربة" والحداثة وباعتبارها عضو فعال ونشط فى حلف الأطلسى، ولذلك فإن المساعدات والمعونات الأوربية والأمريكية لن تجد طريقها إلى الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز إلا عبر البوابة التركية، وكثيراً ما تبدى الأوساط الغربية قلقها نحو زيارات لمسئولين إيرانيين أو عقد إتفاقيات مع إيران، خشية أن تقبل هذه الجمهوريات الإختيار الثورى الإيرانى.

رابعها: إن تركيا تمثل نموذجاً ديمقراطياً مرغوباً من أوربا وأمريكا، وهذا النموذج سواء كان مقبولاً لدى الجمهوريات أو غير مقبول إلا أنه يعد واجهة تطالب بها أوربا وأمريكا.

خامسها: لقد بدأت تركيا بالفعل بدور نشط عندما بث برامجها التلفزيونية والإذاعية إلى تلك الدول منذ ٢٧ إبريل سنة ١٩٩١ ومترجمة إلى اللغات المحلية.

سادسها: عقد الأتراك إتفاقيات اقتصادية بما يربو عن ثلاثة مليارات دولار أمريكى نصفها مع أزبكستان، مع منح تسهيلات إئتمانية لاستيراد السلع التركية.

سابعها: النشاط التركى لحل الخلافات والنزاعات الإقليمية خاصة القائم منها بين آذربايجان وأرمينيا.

ثامنها: لقد قامت تركيا بالفعل بمحاولات جادة لاعتماد الحرف اللاتينى للكتابة فى تلك الجمهوريات، ونقلت مطابع تستخدم الحرف اللاتينى المستعمل فى لغتها التركية [1].

---

(١) انظر مقالى: هل يموت التتريك بموت اوزال المنشور فى صحيفة الإتحاد الصادرة فى أبوظبى بتاريخ ١٩٩٣/٥/٩

والمحور الثانى هو **المحور الإيرانى** وهو محور له دوره البارز على الساحة الإسلامية بشكل عام، ولما كان ممثلا للإسلام الأصولى، فإنه يواجه هجوماً شرساً من قبل الغرب وأمريكا، كما أن هذه الجمهوريات الإسلامية التى رصخت للظلم الشيوعى سبعين سنة قد " تعلّمنت" وعلى الرغم من وجود صحوة إسلامية إلا أن هذه الصحوة تجد عقبات كثيرة، وعلى الرغم من إستمرارها فى دورها إلا إنها محجمة من قبل ربائب النظام الشيوعى الذين ما زالوا يتربعون على كراسى الحكم فى الجمهوريات الإسلامية المستقلة فى وسط آسيا والقوقاز.

والدور الإيرانى له أهميته للإعتبارات التالية:

أولها: إن الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا تعد إمتداداً جغرافيا وتاريخيا وثقافيا لإيران، فقد كانت هذه الجمهوريات جزءاً من الدول الإسلامية التى ظهرت فى إيران فى عهود مختلفة، وقد اقتطع الروس أجزاءً منها من وقت لآخر كما اقتطع الصينيون جزءاً آخر فى شرق التركستان.

ثانيها: إن هذه الجمهوريات تعيش على تراث اللغة الفارسية وآدابها حيث ظهر العديد من شعراء هذه الجمهوريات الذين تطموا بالفارسية وكان من بينهم رجال علم ومعرفة وتصوف وأدب، لأن اللغة الفارسية كانت هى لغة الأدب والثقافة، ولم تكن تلك اللغات المحلية إلا لهجات ليس لها تراث أدبى يضارع تراث الفارسية.

ثالثها: إن إيران تسعى فى توجهها إلى إعادة الماضى وإظهار وجهها المشرق السابق، ولكنها تواجه عقبات جمة مما يعرقل دورها الايجابى فى إبعاد هذه الجمهوريات عن "العلمنة" وتوجيهها إلى "الأسلمة" ومن هذه العقبات:

١- الهجمات الإعلامية الشرسة من قبل الغرب وتصويرها بالتوسعية وتصدير الثورة وتعميق الخلاف بين الشرق والغرب، وعلى الرغم من أن الجانب

الإيرانى لا يستطع أن يبرىء ساحته من تصدير الثورة إلا أن هذه القضية قد تحولت بعد موت الخمينى، وأصبحت قضية تصدير الثورة ليست بالشغل الشاغل للإيرانيين بقدر ما تحاول تحسين صورتها أمام المجتمع الدولى.

٢- وضع إيران على رأس الدول التى تحمى الإرهاب يشوه صورتها أمام الدول الوليدة حيث تضعها المنظمات الغربية والأمريكية كدولة إرهابية تساند الجماعات والحركات الإرهابية فى العالم.

٣- إن إيران تعانى من مشكلات مالية وتضخم إقتصادى بسبب الحرب العراقية الإيرانية التى إستمرت ثمانى سنوات.

كما أن تجميد أرصدتها فى الخارج قد أضر بموقفها المالى، ومن ثم فإنها لا تستطيع أن تقدم معونات اقتصادية كافية فى مواجهة الدعم التركى، وعلى الرغم من أنها قدمت ما يقرب من ثلاثة مليارات لدعم هذه الشعوب لكن ما تطلبه هذه الشعوب أكثر بكثير حتى تعيد اقتصادها المنهار، ولا يستطيع اقتصاد إيران المتدهور أن يعين اقتصاد هذه الدول.

وعلى الرغم من كل هذه المحاذير فقد لعبت إيران دوراً هاماً فى مساندة آذوبايجان ضد أرمينيا فى إقليم قره باغ ولكنها عندما وجدت توجه أبو الفضل الشيبى (رئيس آذربايجان السابق) نحو " التتركة" أهملت جانبه مما أدى إلى إكتساح قوات أرمينيا لآذربايجان.

وعندما حققت إيران إنتصاراً فى تاجيكستان التى يتحدث شعبها اللغة الفارسية – حين جاء إلى الحكم الإسلاميون والديمقراطيون الذين فازوا فى الإنتخابات – إلا أن الفرحة لم تتم، وقام رحمن نبى أوف رئيس الدولة بمساندة الروس بطرد هؤلاء من البلاد، وتحجيمهم فى الشعاب الجبلية على الحدود الأفغانية.

إن الصراع القائم بين تركيا وإيران فى الجمهوريات الإسلامية هو صراع بين العلمانية والأصولية بين الكمالية والخمينية، وما زالت تلك الحرب مستمرة.

والمحور الثالث هو المحور العربى والمتمثل فى دور المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية ومصر، أما المملكة العربية السعودية فقد كانت أولى الدول التى تواجدت بمجرد إنهيار الإتحاد السوفيتى حيث يوجد الآلاف من أبناء هذه الدول فى المملكة منذ عشرات السنين وعقب الغزو الشيوعى، ويقطن هؤلاء الأتراك فى مكة والمدينة على وجه الخصوص.

وكان بعض أبناء هذه الجمهوريات الإسلامية قد تلقى تعليمه على يد بعض الدعاة الذين بعثتهم المملكة العربية السعودية أو تلقوا تعليمهم فيها، كما أن السعودية كان لها إهتمام بارز فى نشر المذهب الوهابى بين أبناء هذه الجمهوريات، ووجدت صدى لدعوتها.

كما أن السعودية قد أسهمت فى إعادة بناء العديد من المساجد والمدارس الدينية، وأرسلت عدة وفود لبحث العلاقات الاقتصادية مع هذه الجمهوريات ويؤخذ على التوجه السعودى أنه دخل الحلبة دون توحيد للجهد العربى، كما أنه كان مقصوداً لمواجهة المد الإيرانى فى هذه الجمهوريات.

الدور السعودى يعمل بمعزل عن الدور الخليجى وعن الدور المصرى مع العلم أن دورهم جميعاً لا يواجه تعارضاً، فالسعودية ودول الخليج العربى يمكنها أن تقدم الدعم الاقتصادى، ويمكن لمصر أن تقدم الدعم الثقافى وبذلك تتكامل الأدوار.

وإذا كان الدور التركى يعمل لإجهاض الدور الإيرانى والدور الإيرانى يقوم بنفس المهمة، فإن الدور العربى سيكون أكثر إقناعاً

لحكام هذه الجمهوريات، ولاشك أن زيارة إسلام كريموف رئيس أزبكستان للسعودية ومصر فى أكتوبر١٩٩٣ يدور فى نفس الإطار ويأتى عن إقتناع.

والدور الخليجى هو دور إقتصادى فى المقام الأول حيث تقدم القروض الميسرة والمنح للحكومات الإسلامية لتدعيم وجودها.

والدور المصرى هو دور رائد يحتاج إلى دعم اقتصادى، فإذا كان التواجد المصرى قوياً فى الدعم السياسى والثقافى لهذه الجمهوريات فإنه أيضاً يتجه على إستحياء نحو الدعم الاقتصادى، فمصر تؤيد هذه الدول فى المحافل السياسية وقد اعترفت بها جميعاً، وعقدت إتفاقيات ثقافية وإعلامية مع هذه الدول، وقدمت منحاً لطلاب هذه الدول فى الأزهر الشريف، وما زال الدور المصرى محجماً لايليق بمكانة وموقع مصر على الساحة الإسلامية والعالمية.

وفى إطار تحجيم الدور العربى والدور الإيرانى يبرز **الدور الإسرائيلى** الذى يبدى إهتماماً بهذه الجمهوريات لعدة إعتبارات:

١- إن إسرائيل تبحث دائما لها عن موقع فى كل مكان، فهى لا تتوانى عن إثبات تواجدها فى تلك الدول، ولذلك قام مسئولوها بزيارة لهذه الدول فى إطار سياسى واقتصادى، وعرضوا تقديم خبراتهم ومساعدتهم فى بناء القوات المسلحة ومجال الزراعة والصناعة.

٢- عقدت إسرائيل مع هذه الدول إتفاقيات دبلوماسية وكانت أزبكستان أولى الدول التى عقدت إتفاقية سياسية مع إسرائيل.

٣- إن إسرائيل تريد ألا تكون هذه الدول ضدها، وبالأحرى تريد حيادها

وإبعادها عن حلبة الصراع الشرق أوسطى.

٤- إن إسرائيل تريد سوقاً رائجة لبضائعها وصناعاتها.

٥- إن إسرائيل لا ترغب فى إنتقال التكنولوجيا العسكرية الموروثة عن الاتحاد السوفيتى إلى العرب، وتريد الإستحواذ على الامكانيات النووية لدى كازاخستان على وجه الخصوص.

٦- تريد إسرائيل قبل كل شىء إستمرار تدفق المهاجرين إليها من هذه الدول.

إن العرب والإيرانيين والأتراك غير قادرين على منافسة إسرائيل، فهم يكتفون بتمويل رحلات الحج السنوية إلى مكة كما تفعل السعودية وليبيا وإيران، وهؤلاء ليسوا فى حاجة إلى هذه النوع من المساعدات وإنما هم فى حاجة إلى رؤوس الأموال وإلى الإستثمارات وإستغلال إمكانيات بلادهم.

أما الدور الروسى فيتمثل فى الرد على السؤال التالى: هل كانت الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز راغبة فى الاستقلال عن الاتحاد السوفيتى بالفعل؟ إذا كانت الحدود المصطنعة التى أقامها زعماء الكرملين بين شعوب تركستان تشهد بالدور الاستعمارى الذى قام به الروس، وعلى الرغم من تحويل هذه البلاد إلى مجرد منتج للقطن والنفط والقمح، ومع أن الروس قد قضوا على الهوية الإسلامية فكرا وثقافة ولغة وتراثاً إلا أنه من الصعب بعد سبعين عاماً من الارتباط أن يتم فك الارتباط بكل هذه السرعة والبساطة إن اقتصاد الجمهوريات المستقلة فى وسط آسيا قد إرتبط إرتباطاً عضوياً بالاقتصاد الروسى، وأن التبادل التجارى مرتبط أيضاً بالجمهوريات الأخرى.

إذا كانت روسيا نفسها التى إتجهت نحو سياسة الانفتاح الاقتصادى فيما

---

(١) انظر مقالى " قمه طشقند هل تعنى طلاقا لروسيا" المنشور فى صحيفة الإتحاد الصادرة فى أبو ظبى فى ١٩٩٣/١/١٣.

سمى باسم سياسة السوق، متخبطة فى سياستها وتواجه مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية لا حصر لها، وهى التى ورثت كل إمكانيات الاتحاد السوفيتى السابق فما بال الجمهوريات الإسلامية الوليدة التى لم تكن سوى ترس فى آلة الاقتصاد السوفيتى، وكان اقتصادها موجها لخدمة الاقتصاد الشمولى للاتحاد السوفيتى، ولهذا تخصصت الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز فى إنتاج المواد الخام.

إن هذه الدول لا تستطيع التخلص من الإرث السوفيتى والروسى، ولا يمكنها التخلص من سياسة الإرتباط الكامل مع دول الكومنولث، ومن ثم فعليها السعى تدريجياً لإيجاد هوية سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية خاصة بها، وإيجاد مثل هذه الهوية يحتاج إلى عشرات السنين.

والحقيقة إننا عندما إستعرضنا الدور الإيرانى والتركى لم يكن هدفنا إبراز الصراع على إنه صراع بين الأصولية والعلمانية ولكن هدفنا إظهار أن هذه الدول ليست فى حاجة إلى أصولية ولا علمانية ولكنها فى حاجة إلى هوية خاصة بها، لا تريد نموذجاً ولا أيديولوجية مستوردة فقد ملت من الأيديولوجية الشيوعية.

وعلى الرغم من أن جمهوريات أزبكستان وقرغيزستان وتاجيكستان وتركمانستان قد أعلنوا إستقلالهم عن الاتحاد السوفيتى فى أواخر عام ١٩٩١، إلا أنهم لم يهدفوا من ذلك إلا توجها نحو السيطرة على اقتصادهم ومصادرهم الطبيعية وتراثهم الثقافى، وإنهم أرادوا كونفيدرالية بين الأعضاء الأربع لوجود تجانس كبير (١)، ومع ذلك فقد ظلت كازاخستان مترددة فى الاستقلال حتى لم يكن مع روسيا سواها، وأخيراً إستقلت على مضض لأن رئيسها سلطان تزار بايف كان يرى وجوب الإبقاء على السلطة المركزية قوية مع السماح بحرية الحركة للجمهوريات وكان رأيه " **سلطة مركزية قوية جمهوريات قوية**"

ومع ذلك فإن هذه الجمهوريات وإن كانت غير متحمسة للاستقلال التام إلا إنها كانت متحمسة إلى عدم الانضمام إلى تحالف مع الشعوب السلافية، ففى ديسمبر ١٩٩١ إجتمع رؤساء الجمهوريات الإسلامية الخمس فى وسط آسيا فى عشق آباد عاصمة تركمانستان بشأن تقرير الانضمام إلى الاتحاد السلافى، لكنهم رفضوا جميعاً هذا الانضمام وقرروا إحياء مجلس إستشارى بينهم كانوا قد قرروه من قبل فى أغسطس ١٩٩١.

وترى أزبكستان نفسها فى موقع الزعامة لدول وسط آسيا، وتعتبر نفسها وريثة لتراث تركستان القديمة لأنها فى موقع متوسط بين الجمهوريات، فهى تملك أكبر عدد من السكان.

وقد عملت هذه الجمهوريات الخمس على تقوية التعاون فيما بينها، ففى ابريل ١٩٩٢ اجتمع الرؤساء فى "بشكيك" عاصمة قرغيزستان حيث اتفقوا على تحديد الحدود وتأسيس صندوق إستثمارى إقليمى.

وعلى الرغم من توجه الدول الإسلامية نحو التوحد فى كونفدرالية واحدة إلا أنهم لم يتفقوا على سياسة دفاعية واحدة، حيث انضم أربع دول إلى إتفاقية الدفاع المشترك الموقعة فى طشقند فى مايو ١٩٩٢ بينما رفضت كازاخستان الانضمام إليها.

> وعلى الرغم من أن أى تعاون بين دول الكومنولث لن يجدى كثيراً لانشغال روسيا نفسها بمشاكل عضال وارتماء ساستها فى أحضان الغرب إلا أن هناك محاولات لإحياء هذا التعاون حيث إجتمع وزراء الخارجية لدول الكومنولث فى أكتوبر ١٩٩٢، واقترحوا تعاون أوثق، وسياسة مالية أوضح، ولكن يبدو أن هذا يحدث فى الوقت الضائع(١).

---

(١) انظر مقالى "وسقطت موسكو تحت سنابك ديمقراطية يلتسين" المنشور فى صحيفة الاتحاد بأبو ظبى فى ديسمبر ١٩٩٣.

المسلمون فى كازاخستان*

القزاق من اصلاب القبائل التركية المغولية الذين استقروا منذ القرن الأول الميلادى وربما أكثر؛ الأرض التى تسمى الآن كازاخستان، وكانوا حتى القرن السادس الميلادى تابعين لأمراء الترك أو ضمن القبائل المتنقلة داخل الصحراء، وظلوا كذلك حتى القرن العاشر حيث حكم القره خانيون جزءاً من جنوب كازاخستان، وفى القرن الثانى عشر قضى القره ختائى على القره خانى حتى قضى المغول عليهم فى أوائل القرن السابع الهجرى (١٢٢١م).

واستطاع أوردا الابن الأكبر لجوجى بن جنگيرخان من تكوين حكومة فى أواسط القرن السادس عشر الميلادى باسم " القبيلة البيضاء" وهى فرع من القبيلة الذهبية، وذلك فى الأراضى الواقعة بين سيحون السفلى وجبال آله تو.

استطاعت القبيلة البيضاء من تكوين دولة امتدت من سيحون وخوارزم إلى نهر ايرتيش الواقع شمالى الفولجا، وعلى الرغم من أن أغلب سكان هذه المنطقة كانوا من الأتراك القزاق والأزبك إلا أن المغول كان لهم الغلبة والسيطرة بعد هجرة القبائل المغولية نحو الجنوب أيام فتوحات جنگيزخان وحكم ابنه چغتاى (١).

وتمكن جانى بيك وگيرى من أمراء القبيلة البيضاء سنة ١٤٦٥م من تكوين دولة لهم، وعلى الرغم من أن أغلب تابعيهم من القبائل التركية كانوا هم من المغول، إلا أنهم حملوا لقب أمراء القزاق، واستطاعوا أن يفرضوا سلطتهم على أغلب صحراء القبچاق والتى كانت من قبل تحت حكم الأزبك.

وفى القرن السادس عشر الميلادى اتحد أغلب قبائل القزاق ومنهم القبچاق

* ترد فى المصادر العربية الحديثة كازاخستان وصوابها قزاقستان وتعنى بلاد القزاق والقزاق قبائل تنتمى إلى الأرومة التركية من القبيلة الذهبية وسوف إستعمل الإصطلاح الشائع.

(١) مليتهاى أسياى ميانه ١٠٨ - ١١٠.

والنايمان والأوزن والدالت تحت حكومة قاسم خان (١٥١١ - ١٥١٨م)، وبموت قاسم خان انقسم القزاق إلى ثلاثة أقسام:-

١- القبيلة الكبرى (اولو) فى سيمرجى.

٢- القبيلة الصغرى (كشى) بين الآرال والخزر.

٣- القبيلة الوسطى (اورتا) فى نواحى استب.

واستمر الصراع بين القزاق والأويرات فترة من الزمن.

وفى القرن الثامن عشر الميلادى، دخل القزاق - بعد ضعفهم نتيجة الحروب مع الأويرات - تحت حماية الروس حيث دخلت القبيلة الصغرى سنة ١٧٣١م والوسطى ١٧٤٠م وجزء من الكبرى سنة ١٧٤٢م، ومنذ ذلك الحين والروس يهيمنون على القزاق (١).

وحاول القزاق أن يتخلصوا من سيطرة الروس فى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى لكن الروس استطاعوا القضاء على أمراء القزاق بالتدريج حيث قضوا على أمير القبيلة الوسطى سنة ١٨٢٢م والصغرى ١٨٢٤م والكبرى ١٨٤٨م، وأقام الروس معسكراً كبيراً فى ورنو (ورنى) (المآتا حاليا عاصمة كازاخستان) سنة ١٨٥٤، وأخذ الروس فى الهجرة تدريجيا إلى كازاخستان، والاستيلاء على الأراضى الصالحة للزراعة من القزاق.

وفى مطلع القرن التاسع عشر الميلادى طالب بوكى ابن خان نور على من القبيلة الصغرى (واصبحت تسمى فيما بعد باسم قبيلة بوكى أو القبيلة الداخلية) بأن يسمح الروس لهم بالإقامة فيما بين الآرال والفولجا والتى كانت مقرا للاويرات (الكوميك) قبل رحيلهم إلى الصين، ورحل بقبيلته إلى هناك حيث

---

(١) المصدر نفسه ١١١

استقروا، وأطلق عليهم فى سنة ١٨١٢م القبيلة الجديدة، وأطلق على هذا المكان اورنبوج كما استقر جماعة منهم فى آستراخان (١).

اعتنق جميع القزاق الإسلام فى القرن التاسع عشر الميلادى، وعلى الرغم من أن الإسلام كان قد وصل إليهم من جيرانهم الأوزبك والتركمان والتاجيك، لكن لم يكن الإسلام قد أصبح الدين الرسمى لهم.

ولقد قام التاتار[٢] بدور بارز فى نشر الإسلام بين القزاق، ولكن الروس أخذوا فى تضييق الخناق عليهم حيث لا يسمح ببناء مسجد إلا بموافقة الروس، كما سمح للنشاط التبشيرى المسيحى بالتغلغل ولكنه لم يأت بنتيجة تذكر.

لقد تربى كثير من أشراف القزاق على يد الروس، وكانوا خلافاً للأوزبك الذين ورثوا تراثا حضاريا وثقافيا وأدبيا، لكن القزاق لم يرثوا إلا أصول الحياة القبلية والأعراف والتقاليد المنقولة شفاهة ولهذا قبل القزاق الثقافة الروسية.

ومن الكتاب المشهورين القزاق الذين كتبوا اللغة القزاقية بالحروف السيريلية الروسية چوكان ولى خان اوف (١٨٣٥ - ١٨٦٥) وابراى آلتين سرين (١٨٤١ - ١٨٨٩) وأباى كوتان بايف (١٨٤٥ - ١٩٠٤م).

كان القزاق يعرفون الخط العربى، وعندما نشط التاتار لنشر الإسلام، وفتحوا عدة مدارس لتعليم القزاق، تدخل الروس لايقاف نشاطهم، وذلك لمنع انتشار الإسلام (٣).

---

(١) المصدر نفسه ١١٢.

(٢) انظر مقالى عن التاتار بصحيفة الاتحاد بتاريخ ١٩٩٣/٢/٢٨.

(٣) انظر: مجله‌ء سياست خارجى شماره يكم سال پنجم بهار ١٣٧٠: شوروى: إسلام وآسياى مركزى - اليويه روا ترجمه‌ء أحمد منصورى ص ٥٠.

وعندما هاجر الروس واستقروا فى أراضى القزاق، واستولوا على مزارعهم وأساءوا إليهم، قامت ثورة سنة ١٩١٦ إلا إنها أخمدت بالقوة، وكان السبب فى هذه الثورة هو قانون الخدمة الإلزامية فى الوحدات غير الحربية.

وبقيام ثورة ١٩١٧ البلشفية تحسن الوضع قليلاً إلا أن الصراع عاد بين الجيش الأحمر والجيش الأبيض (بزعامة كلچاك) والقوميين (ملّيون - بزعامة حزب آلاش - اوردا) حتى تمكنت روسيا من ترسيخ قوتها سنة ١٩٢٠.

وفى ٢٦ أكتوبر ١٩٢٠ أصبح القزاق جزءاً من جمهورية روسيا الإتحادية ضمن جمهورية قزغيزستان ذات الإستقلال الذاتى.

وفى سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥ تم تحديد الحدود وصارت ولاية سردريا وسميرجى جزءاً من جمهورية القزاق وسميت باسم القراقالپاق ونالت حكماً ذاتيا، وفى سنة ١٩٣٦ انفصلت القراقالپاق وانضمت إلى أزبكستان.

وفى سنة ١٩٣٦ أصبحت جمهورية كازاخستان جمهورية ضمن إتحاد الجمهوريات السوفيتية، وأعلنت كازاخستان استقلالها فى ٢٥ أكتوبر ١٩٩٠.

الوضع الإجتماعى:

تتكون كازاخستان من أجناس وأعراق مختلفة، أهمها الجنس الروسى ويشكل ٤١٪ من عدد السكان أى ٦ر٧ مليون نسمة وهو رقم ليس باليسير، كما أن القزاق يشكلون ٣٦٪، مع أنهم السكان الحقيقيون للبلاد، كما يشكل الأوكرانيون ٦٪ والتاتار ٢٪ وهناك عدد آخر من اليهود والقرغيز والأوزبك والباشكير.

ونظرا لتعدد الأجناس فإن صراعاً عرقياً يجرى بين القوميات المختلفة لكن الأمر محسوم لصالح الروس بإعتبارهم يمثلون الطبقة الحاكمة والمهيمنة على

البلاد، فمنهم قواد الجيش وحكام الأقاليم وأعضاء المجلس النيابى.

تتوافر العديد من المدارس والمعاهد فى كازاخستان وبها ما يزيد عن تسعة آلاف مدرسة وستين معهداً علمياً، بها ما يزيد عن أربعة ملايين طالب علم. وإذا كان الصراع الطبقى بين طبقات المجتمع لا يظهر فى كازاخستان فهذا من أسباب الاستقرار الذى يمكن إدراكه بسهولة فى تلك الجمهورية التى استقلت رغم انفها.

الوضع الإقتصادى:

تقع كازاخستان بين بحر الخزر وجبال تيان شان وتضم صحارى ومرتفعات عديدة، يحيط بها من الشمال والغرب الاتحاد الروسى ومن الجنوب تركمانستان وازبكستان وقرغيزستان ومن الشرق الصين الشعبية.

وكازاخستان أكبر جمهورية بعد الاتحاد الروسى فى دول الكومنولث المستقلة، وعاصمتها آلما آتا، وبها ٢٨٧ مدينة وعدد سكانها ١٦٫٧ مليون نسمة.

يقع فى كازاخستان عدة مناجم للفحم والحديد والنحاس والنيكل والذهب والفضة والفوسفات، وبها عدة آبار للبترول، ويوجد بها مساحات شاسعة صالحة للزراعة ومراعى جيدة، وتجرى بها عدة أنهار.

ومن أهم الصناعات فى كازاخستان صناعة إستخراج الفحم وصناعة الحديد واستخراج البترول وتوليد الكهرباء والصناعات الكيماوية وصناعة الآلات والنسيج والصناعات الغذائية

وفى مجال الزراعة يتم زراعة الحبوب وتعد كازاخستان من أهم مناطق إنتاج الحبوب خاصة القمح، ويتم زراعة الفواكة وخاصة العنب، وزراعة الخضروات وقصب السكر والبطاطس والقطن.

ونظرا لتوافر المراعى الواسعة يتم تربية الأغنام والخنازير.

إن كازاخستان واحدة من الدول التى تسمح مواردها الطبيعية بالإستثمار حيث تتوافر العديد من المشروعات الصناعية والزراعية والتعدينية.

كازاخستان اليوم

إذا كانت الجمهوريات الأخرى قد سارعت لتحقيق إستقلالها التام، وشرعت فى إتخاذ إجراءات من شأنها تقليل إرتباطها بموسكو إلا أن كازاخستان ظلت تدور فى فلك موسكو أطول فترة ممكنة بل انها كانت تعارض فكرة تفكك الاتحاد السوفيتى، وعندما حدث مالم يكن متوقعا بالنسبة لهادعت إلى دول كومنولث، بل وقعت إلى جانب روسيا فى كل ما تدعو إليه وليس فى ذلك غرابة لأن الروس يشكلون ٤١٪ من عدد السكان البالغ عددهم سبعة عشر مليونا والقزاق ٣٦٪، كما أن كازاخستان ارتبطت بموسكو منذ زمن طويل قبل أن يجد القياصرة طريقهم إلى باقى الجمهوريات.

لقد كانت كازاخستان أرضاً سهلة للمرور نحو باقى الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا، وقد خضع القزاق للروس فى دولة روسيا القيصرية، وكانوا أكثر إرتباطاً من غيرهم بالروس.

لقد قابل القزاق إستقلال بلادهم بفتور ولم يكونوا متحمسين لهذا الإستقلال الذى فُرض عليهم، ومع ذلك فقد أقروا دستورا توفيقيا بين الإشتراكية المتأصلة فيهم والديمقراطية الغريبة عليهم.

وكازاخستان من الدول الغنية فى وسط آسيا حيث تضم إحتياطياً من البترول يزيد عن إحتياطى الكويت، وقادرة على إنتاج ٧ر١ مليون برميل يوميا بالإضافة إلى أنها غنية بالغاز الطبيعى والفحم والمعادن حيث كانت تزود الاتحاد السوفيتى بـ ٦٠٪ من إنتاجه من الفضة و ١٩٪ من الفحم و ١٠٪ من الحديد وبها ٨٠٪ من إحتياطى العالم من الكروم.

بالإضافة إلى كونها دولة غنية بالمعادن والبترول، فإنها أيضاً غنية بالإنتاج الزراعى حيث تمد الاتحاد السوفيتى بـ ٣٣٪ من إنتاج القمح.

ويجدر بنا أن نذكر أن كازاخستان هى الدول الإسلامية الوحيدة التى تمتلك قوة نووية، ولديها تكنولوجيا عسكرية فى صناعة الأسلحة الذرية والصواريخ النووية بعيدة المدى مما دفع إسرائيل للسعى نحو مصادقة كازاخستان حيث زارها عدد من الساسة الإسرائيليين. وينص دستور كازاخستان الجديد على الديمقراطية والتعددية الحزبية وفصل السلطات وإقامة دولة علمانية تتساوى فيها الطوائف، وإقامة برلمان منتخب يحل محل مجلس السوفيت الأعلى، وسلطة قضائية تتمتع بالاستقلالية (١).

ولما كان واضعو الدستور فى الأصل من الشيوعيين لذا لم يأت الدستور بما يبرز أهمية المرحلة القادمة والحلول السياسية والاقتصادية والقومية للبلاد. ومن المعروف أن كازاخستان بها ما يزيد عن مائة مجموعة عرقية وعدة قوميات أساسية هى الروس والقزاق والألمان والتاتار والأوزبك إلا أن الدستور يجعل اللغة القزاقية (الكازاخستانية) لغة رسمية للبلاد وهى لغة الثقافة والتعليم.

---

(١) انظر صحيفة الخليج الصادرة فى الشارقة بتاريخ ١٩٩٢/١١/٢.

وتتجاذب أطراف عديدة الصراع فى كازاخستان حيث يتربع الشيوعيون على عرش السلطة، ويقاومون أى تعديل فى السياسة أو الاقتصاد مما يفسد على الإصلاحيين جهودهم، وفى مواجهتهم يقف الإصلاحيون الذين يبحثون عن هوية جديدة للبلاد تتناسب مع التطورات العالمية.

وإلى جوار هذين الطرفين يقف الوطنيون دعاة القومية وعلى رأسهم رئيس الدولة نور سلطان نزار بايف الذى يسعى للتوفيق بين القوميات المختلفة.

إن كازاخستان اليوم ترث ميراثا ثقيلا اورثها إياها الإتحاد السوفيتى السابق عن كره لها، وهذا الإرث يتمثل فى وجود قوميات عديدة تحتاج إلى توفيق(١)، وهذه مشكلة جميع الجمهوريات الإسلامية وغير الإسلامية المستقلة، إلا أن كازاخستان قد ورثت عن الإتحاد السوفيتى السابق قوة نووية تمثل ضعف القوة النووية الفرنسية والبريطانية مجتمعة.

اللغة والثقافة

اللغة القومية هى اللغة القزاقية وهى إحدى اللغات التركية، ويمكن أن تصنف على أنها جزء من مجموعة اللغات القبجاقية. واللغة القزاقية ليس بها لهجات وإنما هى لغة واحدة بها ألفاظ عربية وفارسية ومغولية وروسية بالإضافة إلى الألفاظ التركية، والألفاظ الروسية التى دخلت اللغة كانت بعد سيطرة الروس.

(١) انظر مقالى "النزعات القومية وانعكاساتها على الجمهوريات المستقلة" المنشور فى صحية الإتحاد بأبو ظبى بتاريخ ١٩٩٣/١/٢٠.

كما أن اللغة القزاقية قد اقترضت ألفاظا من البلدان المجاورة مثل الصين والأزبك والتاتار، وهى ألفاظ منتشرة فى لهجات المناطق المجاورة لتلك البلاد.

وتستخدم اللغة القزاقية فى الشئون الإدارية والقضائية بجوار اللغة الروسية، كما تستخدم فى المدارس والمعاهد العلمية التى تدرس للقزاق، إلا أنه هناك مدارس تدرس باللغة الروسية والأزبكية والأويغورية والألمانية والدونجان، كما تستخدم اللغة القزاقية فى المدارس الأزبكية والتركمانستانية والروسية والقرغيزية والتاجيكية والتى يدرس فيها القزاق.

وفى جامعة كيروف الحكومية فى آلماآتا عاصمة كازاخستان يتم التدريس بالقزاقية والروسية ، وكانت هذه الجامعة قد تأسست سنة ١٩٣٤. أما الإذاعة والتلفاز فى كازاخستان فإنه يستخدم اللغة القزاقية والروسية والأزبكية والأويغورية والألمانية والكورية.

أما بالنسبة للصحف فأهمها: قزاقستان سوسياليست(١) وأدبيات قزاق(٢) وزن قزاقستان(٣) ومكتب قزاقستان(٤) وستاره(٥) ومدنيت وحيات(٦) ووطن پدرانمان(٧) والأخيرة منها تطبع بالخط العربى فى الماآتا وبلغة اويغوية.

إن الثقافة فى كازاخستان مرتبطة بالتنوع العرقى فى البلاد، ومن ثم نجد عدة ثقافات أهمها الثقافة القزاقية وتمثلها اللغة القزاقية وبجوارها تتعدد اللغات الأخرى التى ترتبط مع اللغة القزاقية فى الأصل التركى مثل الأزبكية والقرغيزية والتاتارية والتركمانية ومنها ما يختلف عنها مثل الروسية والألمانية (٨).

---

(١) كازاخستان الإشتراكية
(٢) الأدب القزاقى
(٣) المرأة الكازاخستانية
(٤) مدرسة كازاخستان (ويقصد بها المدرسة الدينية)
(٥) النجم
(٦) المدنية والحياة
(٧) وطن أجدادنا
(٨) مليتهاى أسباى ميانه ١١٨- ١١٩.

المذهب والدين

القزاق من المسلمين السنة الذين يسيرون على المذهب الحنفى، وفى آلماآتا مركز إسلامى دينى يرأسه تبك نيسان بابيف [1].

ولقد دخل القزاق الإسلام متأخرين حيث أعتنق أكثرهم الإسلام فى القرن التاسع عشر الميلادى، ومعرفتهم بالإسلام قليلة حيث تشيع بعض الخرافات والأساطير، ويرجع الفضل للتاتار الذين قدموا إليهم من تاتارستان لتعليمهم الإسلام وربطهم بالعالم الخارجى.

والمساجد فى كازاخستان قليلة ومن يؤمها من المسلمين قليلون أيضاً، ويرجع ذلك إلى تغلغل الفكر الشيوعى والنفوذ الروس بين القزاق.

وكان التاتار ينتشرون بين العامة وكان أغلبهم من المتصوفة وأشهر هؤلاء الصوفية فى كازاخستان أحمد ياسوى الذى نشر الإسلام باللغة التركية فى القرن السادس عشر الميلادى وظل مريدوه يسيرون على طريقته، ويأتى إلى مزاره فى ياسوى زوار من الهند والصين، وأصبح ضريحه من أقدس المزارات فى آسيا الوسطى [2].

---

(١) المصدر السابق ١٢٠.

(٢) أقوام مسلمان إتحاد جماهير شوروى شيرين اكينر ترجمه، محمد حسين أريا تهران، شركت إنتشارات علمى وفرهنگى ١٣٦٧ ش ص ٤١٠.

المسلمون فى طاجيكستان*

يعتبر التاجيك القومية الوحيدة فى آسيا الوسطى التى تنتمى إلى الأرومة الإيرانية[1] خلافاً لجميع القوميات الأخرى التى تنتمى للجنس التركى كانت بلاد التاجيك معبراً لبلاد ما وراء النهر، وكانت تابعة طوال عصور التاريخ لحكام إيران، فقد كانت تلك البلاد تابعة للإمبراطورية الأكمينية حتى فتحها الأسكندر فى القرن الرابع قبل الميلاد.

ومما يعرف من كتب التاريخ أن قبائل السيت قد سكنت هذه البلاد فى القرن الأول قبل الميلاد وتبعهم الطخاريون وسميت تلك البلاد بطخارستان (بلاد الطخاريين) وأسس أحد امرائهم ويدعى كوى - شانگ امبراطورية الكوشان، وظلت هذه الإمبراطورية قائمة حتى القرن الثالث الميلادى.

سيطر الهياطله (الهون) على تلك البلاد سنة ٤٢٥م وهم من القبائل التركية، وظلوا بها حتى جاء العرب فى أواسط القرن السابع الميلادى وفتحوا تلك البلاد ونشروا بها الإسلام.

سيطر على بلاد التاجيك الأتراك القره خانيون ثم السلاجقة واستمرت الهجرات التركية والمغولية حتى أقام تيمور لنگ دولة التيموريين فى سمرقند، وكانت بلاد التاجيك والأزبك منطقة واحدة حافظ التاجيك وهم قوم من أصل

---

* تاجيكستان أى بلاد التاجيك.

(١) الصيغة الأقدم هى تازيك أو تازيك والتاجيك اسم قوم وكان يستعمل فى الأصل للدلالة على العرب، وانحصر هذا المعنى بعد ذلك فى صيغة تازى فقط، وأطلق بعد ذلك على الإيرانيين تمييزاً لهم عن الترك ويبدو أن الإيرانيين فى أواسط آسيا كانوا يعرفون الغزاة المسلمين بهذا الإسم لأن الرأى الذى كان سائداً وقتذاك أن الإيرانى الذى يعتنق الإسلام يصبح عربيا (انظر - دائرة المعارف الإسلامية ج ٤ ص ٤٥٥ - ٤٥٦).

إيرانى هاجروا إلى هضبه البامير ووديها وحافظوا على اللغة الفارسية الشرقية وهى قريبة من الفارسية الإيرانية جداً.

وتعنى كلمة تاجيك عدة معان فهى تدل على الهوية القديمة لهؤلاء القوم، وهو مقتبس من الإسم العربى لقبيلة طيء (١)، والشكل الأصلى لهذه الكلمة تازيك أو تازك والذى يطلق بشكل عام على العرب فى آسيا الوسطى ثم استخدم بعد ذلك على الإيرانيين باعتبارهم اتباعاً للعرب حتى يميزونهم عن الأتراك، وبمعنى أوسع فإن كلمة تاجيك تعنى كل من أسلم (٢).

وكلمة تاجيك كانت تعنى عند الروس فى القرن السادس عشر والسابع عشر – تاجر من وسط آسيا لأن التاجيك كانوا يعملون فى التجارة وأسسوا مجتمعات تجارية لم يكونوا هم فقط يسكنون بها ولكن كان معهم الازبك، وقد جاءت كلمة تاجيك عند الروس مرادفة لكلمة (سرت) وتعنى حى سكنى لأهل وسط آسيا.

لم يشكل التاجيك إقليما مستقلا وإنما كانوا جزءاً من ازبكستان فى الجنوب الشرقى وعندما مد الروس نفوذهم نحو الجنوب فى أواسط القرن التاسع عشر صوب افغانستان ضموا أهم المدن التاجيكية مثل أورا — تويه وخجند (لينين آباد الآن)، بينما ظل أمير بخارى مسيطراً على بعض الأماكن حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى، وفى سنة ١٩١٨ استولى الروس على كل بلاد تاجيكستان، وجعلوا شمالها جزءاً ضمن جمهورية تركستان الإشتراكية.

وفى سنة ١٩٢١ دخل الجيش الأحمر الجزء الشرقى من تاجيكستان واستولى على دوشنبه وكان تابعاً لأمير بخارى (الذى كان يتمتع بحكومة مستقلة)

(١) ما ذكره المستشرق نولدكه

(٢) تاريخ الطبرى ج ٢

وظل الصراع قائماً حتى سنة ١٩٢٥ حيث استولى الروس على الپامير أيضاً [١].

أصبحت تاجيكستان جزءاً من أزبكستان سنة ١٩٢٤، وفى ١٦ أكتوبر ١٩٢٩ أصبحت جمهورية وضم الروس إلى التاجيك ناحية خوجند وكانت من قبل تابعة للأزبك.

تاجيكستان اليوم

يعانى التاجيك من عقدة التقسيم التى فرضها عليهم ستالين، ففى الوقت الذى فقدوا أهم المدن التاريخية مثل سمرقند وبخارى (تم ضمهما إلى أزبكستان) فإنهم أيضاً تعرضوا لمسخ الهوية التاجيكية حيث أصبح للأزبك والقرغيز مكانة فى بلادهم، وصارت مدينة دوشنبه[٢] العاصمة مقراً للمهاجرين التاجيك من بخارى وسمرقند والأزبك والروس.

ويستقر القرغيز فى جنوب غرب البلاد، كما يستقر الاسماعيلية التابعون للمذهب الاسماعيلى على الحدود الأفغانية وهى قبائل سغدية.

ويعانى التاجيك من عقدة الاحتقار فعلى الرغم من كونهم من أصل عريق، ووارثون لتراث حضارى وثقافى إلا أنهم يخضعون للروس وثقافتهم، كما أن الاهتمام باللغة التاجيكية قليل مما أدى إلى ضعف الإنتاج باللغة التاجيكية.

ويعانى التاجيك من أزمة فقدان الهوية وربما كان هذا سبباً فى دفعهم إلى الحدود الأفغانية وحصرهم فى الشعاب الجبلية ولعل إرتباطهم بالهوية الإيرانية

(١) انظر مقالى عن تاجيكستان فى صحيفة الإتحاد الصادرة فى أبو ظبى بتاريخ ١٩٩٣/٣/٧.

(٢) كانت مقرا لسوق يسمى "دوشنبه بازار" أى سوق الإثنين ثم تحول سوق الإثنين هذا إلى علم يطلق على المدينة.

وتعلقهم بالحركة الإسلامية فى مواجهة الاشتراكية الأزبكية من أسباب تحجيم وجودهم، ومن الواضح أن الحركة القائمة فى تاجيكستان الآن تعنى بالتوجه الإسلامى وتقاوم الإشتراكية والشيوعية. يقطن تاجيكستان خمسة ملايين نسمه يشكل الروس نسبة ١٢٪ والأوزبك ١٢٪ والتاجيك ٦٠٪.

أعلن التاجيك إستقلالهم فى ٢٤ أغسطس ١٩٩٠ وحاولوا إقامة حياة ديمقراطية، وقامت عدة أحزاب، وفاز الحزب الديمقراطى والإسلامى بأغلبية الأصوات إلا أن هذا التوجه لم يعجب الروس، وتدخلوا لصالح الشيوعيين، واجبروا الإسلاميين والديمقراطيين على النزوح إلى الحدود الأفغانية والشعاب الجبلية[١] وما زال الصراع قائما، ومع أن وسائل الإعلام الروسية والغربية تصوره على أنه صراع على السلطة، لكنه فى الواقع صراع بين الإسلام والشيوعية، بين التوجه نحو الجنوب والتوجه نحو الشمال، وتدعم روسيا هذا الإنقسام من أجل بقاء حلفائها على رأس النظام الحاكم فى دوشنبه.

الوضع الإجتماعى

لم يكن التاجيك على شاكلة غيرهم من الشعوب الخاضعة لنفوذ الروس، فهم الجنس الوحيد فى وسط آسيا الذى ينتمى إلى الجنس الإيرانى، كما أنهم أقل تطورا وتحضرا من غيرهم، على الرغم من أنهم أصحاب تراث أعرق من غيرهم، ويرجع هذا إلى تفوق الأجناس الأخرى عليهم، الأجناس المختلفة فى تاجيكستان هم التاجيك والأزبك والروس والقرغيز والتاتار ... إلا أن الأزبك

---

(١) انظر مقالى عن تاجيكستان بصحيفة الإتحاد بأبو ظبى بتاريخ ١٩٩٣/٣/٧.

والروس هم أصحاب السلطان والحكم فى البلاد، مما خلق صراعاً بين الأزبك والتاجيك واستمر هذا الصراع بعد الاستقلال، وقد ذكى الروس هذا الصراع ووقفوا إلى جوار الأزبك والذى يمثلهم رحمن نبى أوف (١).

> الصراع العرقى فى تاجيكستان هو صراع بين أيديولوجيات ولكنه يأخذ بعداً عرقياً لأنه واقع بين التاجيك والأزبك المدعومين من الروس.

ويعانى نصف مليون تاجيكى الآن على الحدود الأفغانية من الجوع والمرض والبرد حيث حاصرتهم القوات الروسية فى مناطق جبلية فاصلة للقضاء على أى تمرد ضد السلطة الشيوعية الحاكمة.

الوضع الإقتصادى

تقع بلاد التاجيك فى الجنوب الشرقى لوسط آسيا وبالتحديد فى سلسلة هضبة البامير وتيان شان، فهى بلاد جبلية. ويتوافر فى تاجيكستان معادن الحديد والنحاس والذهب والفحم والبترول والغاز الطبيعى كما تستعمل مساقط المياه فى توليد الكهرباء.

ومن أهم الصناعات فى تاجيكستان التعدين وصناعة الحديد والصلب واستخراج البترول والفحم وصناعة الآلات الخاصة بالنسيج والصناعات الكيماوية والألمونيوم وصناعة السجاد والصناعات الغذائية.

وتحتاج تاجيكستان إلى شبكة رى كبيرة لتطوير الزراعة بها، وأهم

(١) انظر مقالى بعنوان "الصحوة الإسلامية فى آسيا الوسطى إلى أين؟" المنشور فى صحيفة الإتحاد بأبو ظبى بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٩.

محصول ينتج فيها القطن والعنب والفواكة والخضروات والحبوب كالقمح والشعير بالإضافة إلى تربية الأغنام وعلى الرغم من توافر الموارد الطبيعية إلا أن أهالى تاجيكستان يعانون من مشاكل اقتصادية عديدة.

اللغة والثقافة

يتحدث الشعب التاجيكى باللغة التاجيكية وهى من مجموعة اللغات المرتبطة باللغة الفارسية، والأدب التاجيكى وريث للأدب الفارسى حيث نبغ العديد من الشعراء الناظمين باللغة الفارسية فى بلاد التاجيك وعلى رأسهم الشاعر الرودكى الذى يمثل بداية الشعر الفارسى.

ولم يحدث إنفصال بين الأدب الفارسى والتاجيكى إلا فى السنوات الأخيرة فى عهد الحكومة البلشفية، مما يجعل التاجيكية مجرد لهجة من لهجات اللغة الفارسية واللغة التاجيكية بها أربع لهجات أهمها:-

١- اللهجة الشمالية فى سمرقند وبخارى وفرغانه الشرقية والغربية واورا- توبه وبنجيكنت [(١)].

٢- واللهجة الوسطى فى زرفشان ورشتا وسوخ.

٣- واللهجة الجنوبية فى بدخشان وشمال وجنوب كولاب وقره نكين.

٤- واللهجة الجنوبية الشرقية لجماعة الدروز الاسماعيلية.

واللغة التاجيكية تستعمل إلى جوار اللغة الروسية، ويدرس التاجيك بها فى مدارسهم فى المراحل الابتدائية والاعدادية، كما يُدرس أيضاً بالأزبكية والقرغيرية

---

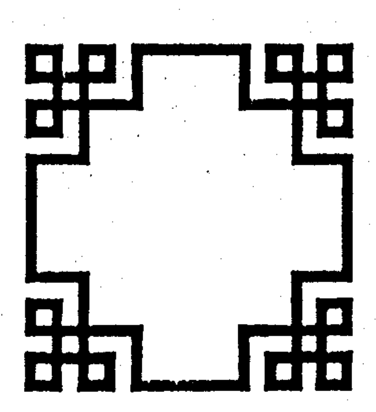
(١) مليتهاى آسياى ميانه ص ٨٨.

والتركمانية والقزاقية.

وفى تاجيكستان جامعة حكومية هى جامعة لنين (المؤسسة سنة ١٩٤٨) فى مدينة دوشنبه وبها تدرس المواد باللغة الروسية والتاجيكية. أما برامج الإذاعة والتلفاز فإنها تبث باللغة الروسية والتاجيكية والأزبكية. وتصدر الصحف بالتاجيكية والروسية والأزبكية والفارسية (١).

الدين والمذهب

يعتنق التاجيك الدين الإسلامي على المذهب السنى الحنفى أما الجماعات الشيعية فإنها تتوافر فى المناطق الجبلية. ومن المعروف أن الاسماعيلية وهم فرقة شيعية تقطن منطقة البامير ووادى بامير.



(١) مجلهء سياست خارجى شماره يكم سال پنجم بهار ١٣٧٠ ص ٦٢ - ٦٣.

المسلمون فى تركمانستان*

تقع جمهورية تركمانستان جنوب غرب آسيا الوسطى وبالتحديد فى المنطقة الصحراوية الواقعة شرق بحر الخزر ويحدها من الجنوب إيران ومن الجنوب الشرقى أفغانستان ومن الشمال الشرقى أزبكستان ومن شمالها كازاخستان.

وعاصمة تركمانستان هى عشق آباد والتى كانت تسمى قبل سنة ١٩٢٧ باسم بالتاراتسك، وعدد سكان تركمانستان يصل إلى ثلاثة ملايين ونصف المليون وهم من أصل تركمانى تركى (١) ويقطن بينهم أقوام أهمهم الروس البالغ عددهم نصف المليون.

كانت بلاد التركمان تحت سيطرة حكام إيران طوال تاريخها القديم حيث كانت جزءاً من الإمبراطورية الهخامنشية ثم الأشكانية، وكذلك فى عهد الساسانيين حتى جاء الفتح العربى الإسلامى واتخذ من مرو (٢) قاعدة للفتوحات فى آسيا الوسطى، ودخلت بلاد ما وراء النهر تحت نفوذ أمراء الدولة السامانية وكانت بلاد التركمان ضمن أملاكهم حتى قامت الدول الغزنوية، ثم الدولة الخوارزمشاهية.

هاجرت قبائل الترك الأغوز (٣) من بلاد المغول ونواحى الآرال واستقروا فى تلك النواحى. اطلق المقدسى على هؤلاء القوم التركمان وهو اصطلاح يطلق على الأغوز الذين كانوا يتكلمون لغة غير الفارسية، وأجدادهم هم التركمان.

---

* تركمنستان وتركمانستان أى بلاد التركمن أو التركمان وهم قبائل تركية.

(١) استعمل اسم تركمان منذ القرن الخامس الهجرى فى كتابات الفرس (دائرة المعارف الإسلامية مادة تركمان ج ٥ ص ٢١٢– ٢١٣.

(٢) أصبحت الآن تسمى مارى.

(٣) المعروف بالغز – والأوغوز ورد ذكرهم فى الكتابات الأورخونية.

قام السلاجقة بتشكيل دولة واسعة ضمت هذه البلاد، وكان التركمان الأوغوز يتدفقون صوب آسيا الوسطى وهم قبائل قره قويوتلو وآق قويونلو [١].

استقرت قبائل الأغوز فى تركمانستان منذ القرن الرابع الهجرى، وتشعبوا شعباً مختلفة، تفرقت فى وسط آسيا والقوقاز.

انقسمت بلاد التركمان إلى قسمين فى عهد أولاد جنكيزخان حيث أصبح قسم منها تابعاً للقبيلة الذهبية (اولوس جوجى) والثانى لجغتاى وهولاكو (ايلخان)

ظل القسم الجنوبى تحت سيطرة الصفويين بعد ذلك، والقسم الشمالى تحت سيطرة أمراء الأزبك فى خيوه وبخارى، وظلت هذه المنطقة منطقة صراع بين سلاطين إيران وأمراء الشمال، وادخلها نادر شاه سنة ١٧٠٤م تحت سيطرته، حتى قام أمير معصوم بحكم بخارى بأمر الشاه مراد، وقام بترحيل عدد كبير من الإيرانيين إلى بخارى.

ونظرا لكون سكان الصحراء فى ترحال دائم بالإضافة إلى قلة السكان لذا ظلت هذه البلاد مجال صراع دائم، حتى قام الروس بالهجوم على التركمان سنة ١٨٧٧م وانتصروا عليهم فى معركة " كوك تپه " ثم تبعها سقوط مرو وسرخس وپنج ده (بنده) مما فتح الطريق نحو أفغانستان، وقد أثار هذا حكومة انجلترا وهدد مصالحها فى الهند، وبعد جدال ومناقشات طويلة سنة ١٨٨٥ و ١٨٨٦ انتهى ذلك باتفاق بين الروس والإنجليز على أن تكون حدود أفغانستان الشمالية هى الفاصل بين املاكهما، وحددا لجنة لترسيم الحدود، ومنذ سنة ١٨٩٩ أصبحت بلا التركمان هى ولاية تركمانستان.

---

(١) مليتهاى آسياى ميانه ٩١

وفى سنة ١٩١٦ ثار التركمان على قانون الجندية الذى فرضه الروس على مواطنى آسيا الوسطى للخدمة فى الوحدات غير الحدودية وسعى البلاشفة سنة ١٩١٧ لاحكام قبضتهم على التركمان وفى سنة ١٩١٨ صارت تركمانسان جزءاً من جمهورية تركستان الاشتراكية الروسية ذات حكم ذاتى وضمن جمهورية روسيا الاتحادية.

وفى سنة ١٩٢٠ سقطت تركمانستان فى قبضة قوات الجيش الأحمر بقيادة فرونزى وكويبشيف، وفى سنة ١٩٢٤ أصبحت جمهورية تركمانستان جمهورية ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتى تضم ما وراء الخزر وعشق آباد وكراسنوا وتجن ونواحى مرو وأماكن استقرار التركمان فى خوارزم واوركنج وكركى (١).

وقد أعلنت تركمانستان استقلالها عن الاتحاد السوفيتى فى ٢٣ أغسطس ١٩٩٠ وأصبحت عضوا فى رابطة دول الكومنولث المستقلة.

الأوضاع الاجتماعية

المجتمع التركمانى يمثل أبسط المجتمعات فى وسط آسيا، وينقسم التركمان إلى قسمين وهما: سكان الصحراء الذين يعيشون حياة بسيطة، ويكفيهم القليل، وما زالت تجرى بينهم النظم القبلية والأعراف المتعارف عليها، وسكان المدن والقرى الذين استقروا فيها ويمارسون حرفة الزراعة كما يقوم بعضهم بالعمل فى المصانع.

النساء التركمانيات يعملن فى المصانع والمزارع ولكنه بشكل أقل مما هو موجود فى المجتمعات الأخرى فى آسيا الوسطى. ويقطن بلاد التركمان أجناس

---

(١) المصدر نفسه ٩٤.

متعددة أهمهم التركمان ويمثلون ٧٠٪ من عدد السكان والروس ١٤٪ والأزبك ٩٪ والقزاق ٣٪.

والصراع الطبقى فى المجتمع التركمانى ضعيف ولا يظهر على السطح، ويرجع ذلك إلى غلبة الروس وسيطرتهم على جميع مناحى الحياة، إلى جانب ميل التركمان نحو الخضوع بسبب انتشار الجهل والفقر حيث أن المدارس والمؤسسات التعليمية تعد أقل عن مثيلتها فى الدول الأخرى ومستوى المعيشة هو الأدنى.

الوضع الاقتصادى

تتوافر بعض المعادن فى تركمانستان وأهمها النفط والغاز الطبيعى وقليل من النحاس والحديد، وأهم الصناعات القائمة هى صناعات استخراج الغاز الطبيعى والبترول والصناعات الكيماوية وصناعة السجاد والصناعات الغذائية.

أما الزراعة فإن تركمانستان فى حاجة إلى شبكة رى لزراعة أرضها الواسعة وصحرائها القاحلة، والمناطق الزراعية تجود بالقطن والقمح والشعير والذرة والعنب والبطاطس بالإضافة إلى تربية الأغنام والإبل والخنازير

اللغة والثقافة

اللغة القومية لشعب تركمانستان هى التركمانية وهى إحدى اللغات التركية وبها عدة لهجات أهمها: لهجة المنطقة الوسطى ولهجة المنطقة المجاورة لإيران وأزبكستان، واللغة الأدبية تمتزج باللهجات المحلية.

واللغة التركمانية غنية بالألفاظ العربية والفارسية والروسية حيث أن الألفاظ

الروسية قد وجدت طريقها بعد الغزو الشيوعى واستمرار الهيمنة طوال سبعين سنة.

واللغة التركمانية تستعمل إلى جوار الروسية فى الشئون الإدارية والقضائية وجميع الأمور الرسمية، وإن كانت اللغة الروسية أكثر سيطرة.

وتستخدم المدارس فى الريف اللغة التركمانية فى التدريس، أما فى المدن فتسخدم اللغة الروسية وكذلك تستخدم اللغة الأزبكية والقزاقية فى التدريس لغير التركمان كما أن التركمانية تستخدم فى أزبكستان وكازاخستان لأبنائها.

وفى سنة ١٩٥٠ تأسست جامعة جوركى التركمانية فى عشق آباد(١) ويدرس فيها باللغة التركمانية. كما تستخدم اللغة التركمانية فى الإذاعة والتلفاز بالإضافة إلى الروسية. كما أن الصحف تصدر بالتركمانية والروسية.

الدين المذهب

التركمان مسلمون سنيون على المذهب الحنفى، ويشتهر التركمان بالتعصب الأعمى، ونساؤهم لا يضعن "الشادر" على رؤسهن، إلا أنهن يفعلن ذلك عندما يعملن مع الرجال.

المساجد فى تركمانستان قليلة بالقياس للجمهوريات الأخرى، وكان عددها سنة ١٨٩٦ - ١٦١ مسجداً فقط وبلغت ٤٨١ مسجداً فى سنة ١٩١١، ولكنه لم يبق فى ظل السيطرة الشيوعية سوى سبعة مساجد فقط.

---

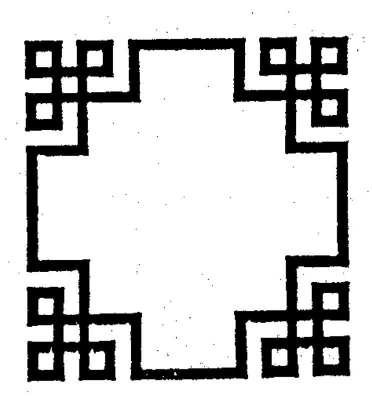
(١) المصدر السابق ٩٨.

وتنتشر الطرق الصوفية بين التركمان وأهم مراكزهم فى مرو وسرخس ونسا، وتجد مقابر المتصوفة المعروفين عناية واهتمام التركمان حيث أصبحت المزارات تزدحم بالقادمين إليها وأهم هؤلاء أبو العباس السيارى المتوفى ٣٤٢هـ والمدفون فى مرو، وخواجه يوسف الهمدانى المتوفى ٥٢٥هـ فى مرو أيضاً وأبو سعيد أبو الخير المتوفى ٤٤٠هـ المدفون فى قرية يهنه (مانه) وكوزلى آتا المدفون فى شمال شرق كراسنوودسك وهو يعد من أكابر المشايخ.

ومن أشهر المتصوفة قربان ميراث من مشايخ النقشبندية وقد حمل لواء الثورة ضد الروس سنة ١٨٨١م، ومدفنه فى قلعة كوك تپه، وقد أصبحت مدفناً لأتباعه من بعده.

وقد أراد الروس ضرب المتصوفة بالإسلاميين ولكنهم فشلوا فى ذلك.

أما البهائية فقد ظهروا فى عشق آباد سنة ١٩٠٠، وتحولت عاصمة تركمانستان إلى أكبر تجمع لهم فى المنطقة حتى تم طردهم سنة ١٩٣٠ إلى إيران وباقى دول آسيا الوسطى.



المسلمون فى قرغيز ستان(*)

وردت فى المصادر التاريخية الصينية أقوام تدعى كين - كن Kien - Kuen تتشابه مع القرغيز، وقد ورد اسم القرغيز لأول مرة فى النقوش التركية المعروفة بأرخن أو أورخون Orkhon (فى القرن الثامن الميلادى) وقد سكنوا الجزء الأعلى من نهر ينى سى ولهذا سموا باسم ينى سى قرغيز.

وقد استخدمت اللغة التركية فى هذه النواحى حتى استطاع القرغيز التغلب على الأويغور شمال شرق مغولستان سنة ٨٤٠م، واحتلوا أراضى أنهار ينى سى وارخون، وطرد الخطائيون القرغيز من تلك النواحى فى القرن العاشر الميلادى، وعندما أقام المغول امبراطوريتهم فى أوائل القرن الثالث عشر هاجر القرغيز نحو الجنوب، وظل بعضهم فى مقاطعة مينوسينك Minusink، واندمجوا بين أقوام الخاكاس وتووينى، أما المهاجرون فقد استقروا فى مرتفعات تيان شان فى المنطقة المعروفة باسمهم الآن.

ظل القرغيز تحت سيطرة ملوك أتراك حيث حكمهم اتراك القرلق (قرلغ) (Kurluk) ثم جاء من بعدهم القره خانيون من القرن العاشر حتى الثانى عشر الميلادى ثم صاروا جزءاً من أملاك جغتاى بن جنكيزخان.

اتحد القرغيز والقزاق فترة من الزمن فى أواسط القرن السابع عشر الميلادى لكن الأويرات (كالميك) استولوا على أرضهم سنة ١٦٨٥، فهاجر بعض القرغيز جنوب تركستان الشرقية (نواحى ياركندوكاشغر وختن)، وقام جماعة من المهاجرين بتنظيم انفسهم ومحاربة الأويرات والعودة إلى بلادهم (١).

(*) وتعنى بلاد القرغيز أو القرتيز وتستعمل أيضا قرغيزيا.

(١) مليتهاى آسياى ميانه ١٠٢.

بدأت اعتناق القرغيز للإسلام فى القرن السابع عشر الميلادى، وكانت حروبهم مع الأويرات حرباً دينية، وبعد تحررهم من الأويرات، كانوا تابعين للصين اسميا، ولكنهم فى الواقع لا يدينون بالولاء لأحد حيث أنهم كانوا دائمى التنقل.

وفى سنة ١٨٣٠م هاجم خانات خوقند القرغيز واجبروهم على دفع الخراج لهم، وعندما وقع خانات خوقند تحت نفوذ الروس سنة ١٨٦٨م وقع القرغيز أيضاً تحت سيطرتهم، وقد أرسل الروس حملة على عاصمة القرغيز وهى بيشيك بقيادة فرونزى، فاستولى عليها وابدل اسمها على اسمه، وقد هاجر بعض القرغيز إلى البامير وافغانستان بسبب هجوم الروس.

واستطاع الروس سنة ١٩٢٠ القضاء على ثورة القرغيز خاصة فى جنوبها، وصارت بلاد القرغيز جزءاً من جمهورية تركستان سنة ١٩٢٤ التابعة لجمهورية روسيا الإتحادية، وأصبحت قرغيز ولاية ذات استقلال ذاتى سنة ١٩٢٥ ثم أصبحت جمهورية ضمن الإتحاد السوفيتى سنة ١٩٣٦.

وفى ١٢ ديسمبر ١٩٩٠ استطاع القرغيز من الاستقلال التام عن الاتحاد السوفيتى، والانضمام إلى رابطة دول الكومنولث المستقلة.

الوضع الإجتماعى

يبلغ عدد سكان قرغيزستان ٤ر٤ مليون نسمة يشكل القرغيز ٤٨٪ والروس ٢٦٪ والأوزبك ١٢٪ والأوكرانيون ٣٪ والتاتار ٢٪ وهذا يعنى أن بلادهم تضم جنسيات وأعراق مختلفة، مما يجعل الصراع الاجتماعى بين الطبقات قائماً إلا أن الروس يشكلون نسبة أعلى من الأجناس الأخرى فى البلاد وهى نسبة أعلى من الجمهوريات الأخرى باستثناء كازاخستان مما يعنى تركز السلطة فى يد

هؤلاء الروس وحرمان القرغيز من أى دور لهم فى الحكم بالإضافة إلى أن القرغيز قوم جبليون دائمو الترحال والانتقال والهجرة، مما أعطى للروس فرصة للتواجد أكثر.

الوضع الاقتصادى

تقع قرغيزستان فى نواحى تيان شان وجنوب شرق مرتفعات البامير، ويحيط بها من الشمال كازاخستان ومن الجنوب تاجيكستان ومن الغرب أزبكستان ومن الشرق جمهورية الصين الشعبية.

ويقطن قرغيزستان ٤٫٤ مليون نسمة مما يجعل الكثافة السكانية بها تصل إلى عشرين شخصاً فى الكيلو متر مربع، وتتوافر فى قرغيز ستان معادن هامة مثل اليورانيوم والفحم والزئبق كما يتوافر بها البترول والغاز الطبيعى والنحاس والحديد، وبها منابع الأنهار مما يوفر الكهرباء من مساقط المياه.

والصناعات القائمة فى قرغيزستان هى التعدين واستخراج الفحم والبترول والغاز الطبيعى والآلات الزراعية والصناعات الغذائية. وفى قرغيز ستان يتم زراعة الحبوب كالقمح، كما يزرع قصب السكر والقطن، كما تربى الأغنام.

اللغة والثقافة

يتحدث القرغيز اللغة القرغيزية وهى إحدى اللغات التركية ويمكن اعتبارها إحدى لغات القرغيز – فبجاق (باسكاكف) وتتشابه لغة القرغيز مع لغة ألتائى التى يقال أنها لغة الأويرات واللغة القرغيزية لها لهجات ثلاث هى:

١- لهجة الشمال

٢- لهجة الجنوب الشرقى

٣- لهجة الجنوب الغربى

وقد نشأت هذه اللهجات بسبب الهجرات الدائمة للقرغيز. واللهجة الأكثر انتشارا والمعمول بها هى اللهجة الشمالية التى يروج فيها ألفاظ مغولية، أما ألفاظ التجارة والزراعة فهى مأخوذة عن الفارسية، والألفاظ الدينية مأخوذة من العربية بالإضافة إلى ألفاظ روسية دخلت فى ظل الحكم الشيوعى.

تستعمل اللغة القرغيزية فى الشئون الإدارية والقضائية إلى جوار اللغة الروسية كما يستخدم فى التدريس للقرغيز فى المرحلة الابتدائية والاعدادية، كما تستعمل الروسية والأزبكية والقزاقية والتاجيكية للأقوام التى تتحدث هذه اللغات.

وقد تأسست جامعة فرونزى فى سنة ١٩٥١ ويتم التدريس فيها بالقرغيزية والروسية كما يوجد عدة معاهد زراعية وطبية يتم التدريس فيها بالروسية ، ويبث التلفاز والإذاعة فى قرغيز ستان برامجهما بالروسية والقرغيزية والألمانية والدونجنية (دونكن) [١] وتصدر الصحف باللغة القرغيزية والروسية ولم يكن لدى القرغيز صحف قبل الحكومة الشيوعية وبعد الاستقلال تعددت الصحف الصادرة باللغة القرغيزية.

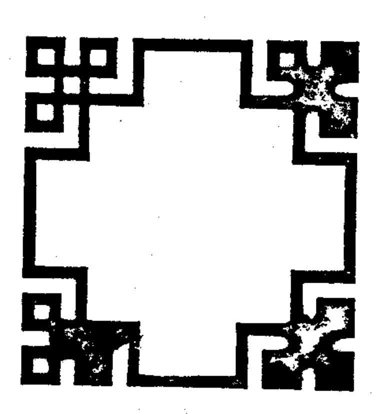
الدين والمذهب

القرغيز مسلمون سنيون على المذهب الحنفى. وقد اعتنق القرغيز الإسلام متأخرين مثل القزاق فى القرن التاسع عشر الميلادى، ومازال كثيرون منهم يشيع بينهم عادات قديمة.

عمل الأزبك والتاتار على نشر الإسلام بين القرغيز، كما أن القرغيز الذين

(١) مليتهاى آسياى ميانه ١٠٧

رحلوا إلى خارج بلادهم تحت ضغط الحكومات المسيطرة قد عادوا بعد أن اعتنقوا الإسلام، واقاموا مساجد فى فرونزى واوش.كما لعبت الطريقة النقشبندية دوراً هاماً فى نشر الإسلام بين القرغيز.



الآثار الناجمة عن السيطرة الروسية على مسلمى وسط آسيا

الآثار الناجمة عن السيطرة الروسية على مسلمى وسط آسيا

لم يحتل الروس البلدان الإسلامية فى وسط آسيا دفعة واحدة وإنما أخذوا فى اقتطاع أجزاءها جزءاً جزءاً وكلما انتهوا من السيطرة على إقليم، انتقلوا إلى غيره، وقد استمر الاحتلال الفعلى للبلاد ما بين سنة ١٩١٧ و ١٩٢٩ (١).

ومع أن بلاد التركستان كانت تحت حكم عدة أمراء فى مقاطعات مختلفة إلا أن كل إمارة كانت تعيش آمنة فى ظل أمير أو حاكم يتمتع بقدر كبير من السلطة، ولكن عندما حل الحكم الشيوعى الروسى قام بعدة إجراءات ما زالت آثارها باقية حتى الآن على الرغم من استقلال هذه البلاد. وفيما يلى استعرض الآثار الناجمة عن السيطرة الروسية.

أولاً: إعادة تشكيل الخريطة الجغرافية للمنطقة، وتجزئة الإقليم إلى عدة جمهوريات

عمل الروس فى البداية على "ترويس" المسلمين القاطنين داخل الأراضى الروسية أو على أطرافها مثل الباشكير والتاتار والانجوش والشيشان والابخاز والشركس وكانت هذه هى المرحلة الأولى التى أراد الروس بها أن يقطعوا الصلة بين المسلمين فى هذه المناطق الخاضعة لهم، والمناطق التى يزمعون السيطرة عليها.

وفى المرحلة التالية بدأ الروس غزوهم العسكرى الذى امتد اثنا عشرة عاما وانتهى بادخال كل بلاد التركستان (وسط آسيا) تحت سيطرتهم، وبعدها قسموا

---

(١) اسلام وشوروى – كريم روشنيان – تهران ١٣٣٠ ص ٤٥.

هذه البلاد إلى عدة جمهوريات وأقاليم ذات حكم ذاتى[1]، ولم يكتفوا بتقسيم تركستان إلى خمس جمهوريات بداخلها عدة مقاطعات مستقلة ذاتيا بل عملوا على اقتطاع أجزاء من إقليم والحاقه بدولة أخرى مثلما فعلوا فى أزبكستان وقرغيزستان وتاجيكستان وتركمانستان.

وأخذ الروس امعاناً فى تقسيم البلاد إلى تقسيم الشعوب والقوميات ونقل قبائل إلى جمهوريات أخرى غير بلادهم مما أوجد لدينا تشكيلة متنوعة من الأجناس والأعراق فى كل دولة من دول وسط آسيا الإسلامية.

ثانياً: النفى الجماعى للمسلمين

قام الروس بنقل وترحيل جماعى للمسلمين من بلادهم إلى سيبريا ومناطق روسية أخرى لضرب الثورة الإسلامية فى وسط آسيا، وقد قاموا بترحيل ما يزيد عن ثلاثة مليون شخص من القزاق إلى سيبريا ومناطق أخرى من البلاد ما بين عام ١٩٢٦، ١٩٣٩م.

كما قام الروس بالضغط على السكان المسلمين لهجر بلادهم والنزوح عن المزارع ومراكز الصناعة بالإضافة إلى الذين تم نفيهم بالفعل لابعادهم عن هذه المناطق الحساسة التى يجب أن يعهد بها للروس فقط.

وكان ستالين قد صادر مساحات شاسعة من أراضى المسلمين لتحويلها إلى مزارع جماعية [2]، وعلى الرغم من رفض المسلمين لهذا النوع من المزارع ومقاومتهم للحكومة الروسية إلا أنهم اضطروا للخضوع فى نهاية الأمر، بعد أن صدر قانون يبيح لحكام الأقاليم نفى من يعارضهم.

---

(١) الجمهوريات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى بين الماضى والحاضر - د. محمد عبد القادر أحمد القاهرة ١٩٩٢ ص٨٠.

(٢) مليتهاى أسياى ميانه ١٩٣.

ولقد أدى قانون إنشاء المزارع الجماعية (المزارع الاشتراكية) إلى إبادة وتشريد ونفى كثير من المسلمين (١).

ثالثاً: تهجير الروس إلى المناطق الإسلامية:

عمل الروس على تهجير الآلاف من الروس والأوكرانيين إلى المناطق الإسلامية، ويذكر إحصاء صادر عن موسكو سنة ١٩٢٦ أن مليونين من الروس تم تهجيرهم من غرب روسيا للإقامة فى المناطق الإسلامية.

أراد الروس بذلك "ترويس" البلدان الاسلامية عن طريق نقل عائلات وأسر إلى تلك المناطق بالإضافة إلى الأشخاص الذين يديرون دفة الحكم فى البلدان الإسلامية.

وباستقراء نسبة الروس إلى غيرهم من الأجناس فى الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز نجد أن الروس يشكلون ٤١٪ من عدد السكان فى كازاخستان و ٢٦٪ من عدد سكان قيرغيزستان و ١١٪ من عدد سكان أزبكستان و ١٣٪ من عدد سكان تركمانستان و١٢٪ من عدد سكان تاجيكستان و ٨٪ من عدد سكان آذربايجان.

أما الاوكرانيون فإنهم يشكلون نسبة ٦٪ فى كازاخستان و ٣٪ فى قرغيزيا و ٣٪ فى تاجيكستان وكان الهدف الذى يسعى إليه الروس هو دمج جميع القوميات، والقضاء على النزعات القومية والمذهبية.

رابعاً: ترويس المناطق الإسلامية

كان المسلمون فى وسط آسيا يستخدمون الخط العربى فى كتابة لغاتهم،

---

(١) إسلام وشوروى ص ٥٨.

وكان هذا الخط قد استعمُل منذ تحول هذه الشعوب إلى الإسلام، فأحلوا الخط العربى محل الخطوط المستعملة من قبل، وعلى الرغم من تنوع اللغات واللهجات بين شعوب وسط آسيا إلا أن الخط العربى كان يجمعهم جميعاً (١).

وعندما احتل الروس تلك المناطق حلوا الخط اللاتينى محل الخط العربى حتى سنة ١٩٣٩ حيث أبدلوه بالخط الروسى(٢) وذلك ليقطعوا كل الروابط بين هذه الشعوب والإسلام، حيث أنهم بهذه الطريقة أمكنهم فصل المسلمين عن القرآن الكريم المكتوب بالعربية.

خامساً: تهجير جماعات مسيحية من مناطق البلطيق إلى الجمهوريات الإسلامية

وقع الروس مع الألمان فى ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ معاهدة عدم اعتداء بعد فشل المحادثات مع بريطانيا وفرنسا.

وفى أول سبتمبر ١٩٣٩ اعتدى الألمان على بولندا، وبدأت الحرب العالمية الثانية، واجبرت روسيا على تقوية دفاعاتها على الحدود الغربية، ووقف زعماء البلطيق استونيا ولتوانيا ولاتفيا وأيضاً فنلندا موقفاً متشدداً ضد الروس، وأقامت فنلندا دفاعات قوية على حدودها مع روسيا، واضطرت دول البلطيق الأخرى إلى طلب المساعدة من بريطانيا وفرنسا وألمانيا أيضاً، وقد عقدت روسيا مع دول البلطيق معاهدات تعاون متبادل ولكن فنلندا لم توافق وأعلنت الحرب على روسيا بتحريض من انجلترا وفرنسا فى ٣٠ نوفمبر ١٩٣٩ (٣).

(١) مليتهاى آسياى ميانه ١٩٤.

(٢) إسلام وشوروى ٦٢.

(٣) مليتهاى آسياى ميانه ١٩٥.

واضطر جمع غفير من الأستونين واللتوانين واللاتفيا إلى الانتقال خوفاً من الخطر القادم من فنلندا وألمانيا أو قسرا من قبل الروس، ورحلوا إلى المناطق الإسلامية فى وسط آسيا ما بين سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٥ (١)، وقد استخدمهم الروس لمراقبة المسلمين الذين كانوا متعاطفين مع ألمانيا رغبة فى الخلاص من الحكم الشيوعى.

سادساً: مسخ الهوية الإسلامية

قام الشيوعيون بوضع قوانين من شأنها مسخ الهوية الإسلامية وتنص المادة ٣٥٢ من قانون رقم ١٨ من مجموعة القوانين الشيوعية: التعاليم الدينية لأى دين من الأديان (ومنها الإسلام) محظورة فى جميع المؤسسات الحكومية والاجتماعية والتربية والتعليم والمؤسسات الخاصة (٢).

وفى ظل الحكم الشيوعى ألغى تعدد الزوجات وارتداء الحجاب وأُغلقت المحاكم الشرعية والمدارس الدينية وكثير من المساجد، ومنع السفر للحج، ومُنع المسلمون عن أداء الزكاة والصدقة والصوم، وتوقف طبع القرآن والموضوعات ذات الصيغة الدينية، فى الوقت الذى شاعت فيه المباحث المضادة للإسلام.

ومنعت الحكومة الشيوعية الدعوة إلى الإسلام وأصبح صعباً الذهاب إلى المساجد، التى كانت مفتوحة، ولم يستطع رجال الدين والمتصوفة أداء دورهم وأصبح تعليم الشباب لأمور دينهم أكثر تعقيداً وخطراً (٣).

---

(١) حكومت مسكو ومسئلة مسلمانان آسياى مركزى شوروى - ما يكل ريوكين ترجمة محمود رمضان زاده - مشهد - ١٣٦٦ هـ ش ١٦٩.

(٢) نصت المادة الثالثة من قانون الحكومة الروسية على فصل الكنيسة عن الدولة فى ٢٣ يناير ١٩١٨.

(٣) مليتهاى آسياى مبانه ١٩٦.

وفى الوقت الذى منع فيه ممارسة شعائر الدين قام الروس بتحويل مزارع المسلمين إلى مزارع لتربية الخنازير الممنوعة إسلامياً.

خضع المسلمون فى وسط آسيا وبلاد القوقاز إلى الثقافة الروسية بعد إلغاء الحرف العربى واستبداله بالروسى، وأصبحت اللغة الروسية هى لغة التعليم فى المعاهد والمدارس والكليات مما أسهم فى أبعاد المسلمين عن ثقافتهم الموروثة.

وبعد أن تحرر المسلمون من ربقة السيطرة الشيوعية وجدوا أنفسهم بلا هوية إسلامية، أبناءهم لا يعرفون تراثهم الأدبى والثقافى، ولا يستطيعون قراءة القران الكريم - دستورهم الخالد، وجدوا أن شبابهم قد تربى على الفكر الشيوعى وأن نساءهم قد تحللت عن قواعد الشرع، فكان لابد من إعادة البناء لأمة مُسخت هويتها.

ولإدراك مدى مسخ الهوية الإسلامية فى البلاد نقرأ هذه الإحصائية التى نشرت سنة ١٩٧٢ (١) عن الدين فى جمهورية قراقالپاق إحدى المقاطعات ذات الحكم الذاتى فى جمهورية أزبكستان، والتى توضح أن ٢٣٪ من الرجال و ٢٠٪ من النساء ينكرون وجود الله، أما الذين يعتقدون فى الدين فهم ١١٪ فقط والمتشككون ١٥٪ والذين لا يؤمنون بالدين ولكن يراعون الشعائر ١٨٪ أما الذين لا يؤمنون بالدين ويراعونه لأسباب تتعلق بالأسرة فهم ٥ر٢٠٪.

(١) مليتهاى آسياى ميانه ٢٧٤ - ٢٧٥.

علاقات الجمهوريات الاسلامية
فى وسط آسيا
بالروس والايرانيين والعرب

أ- الروس والجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا

إن الوجود الروسى يشكل جزءاً من مستقبل المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية، وإذا كان الروس قد لعبوا دوراً هاماً وخطيراً فى حياة الشعوب الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز منذ قرنين وحتى الآن، فليس من المعقول أن يتخلص حكام تلك الجمهوريات من الوجود الروسى المتمثل فى وجود الجيش الأحمر بالإضافة إلى وجود مواطنين من روسيا الاتحادية، يشكلون نسبة كبيرة فى كل جمهورية، حيث أنهم يشكلون ٤١٪ من عدد سكان كازاخستان، بينما يشكلون ما بين ١٥٪ و ٨٪ فى باقى الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز.

وعلى ضوء هذا فإنه من المستبعد التخلص من الوجود الروسى على المستوى الاجتماعى أو العسكرى أو السياسى أو الاقتصادى لتداخل المصالح.

والتوجه الروسى الآن يتمثل فى إعادة تكوين الاتحاد السوفيتى بشكل آخر يتناسب مع التطورات المحلية والعالمية، ليس بالضرورة أن يحمل اسم الاتحاد السوفيتى، ولكنه يجب أن يكون على شاكلته.

> لقد استطاع بوريس يلتسين التخلص من ميخائيل جورباتشوف حين سعى لتقويض الاتحاد السوفيتى وعزل رئيسه، واليوم يعمل يلتسين على إعادة تشكيل ما فقده من أجل طموحاته السياسية.

استطاع يلتسين أن يربط جميع الجمهوريات المستقلة بروسيا مرة أخرى من خلال رابطة كومنولث الدول المستقلة، وقد أجبر جورجيا وأذربايجان على الانضمام إلى هذه الرابطة حين دعم وساعد المتمردين ضد آذربايجان ووقف بجوار الأرمن لإجبار أبى الفضل الشيبى رئيس آذربايجان على الهروب وإقرار

رئيس جديد موال لروسيا [1]، أما جورجيا فقد ساعد يلتسين الأبخاز، ليس حباً فيهم؛ ولكن لإجبار جورجيا على الانضمام لرابطة دول الكومنولث.

لم يشذ عن ذلك إلا ليتوانيا ولاتفيا واستونيا وهى الدول المدعومة من أوربا وأمريكا والتى لن يجدى معها الضغط الروسى.

وإذا كان يلتسين يعانى من المشاكل الداخلية والقلاقل الناجمة عن انهيار الاقتصاد الروسى إلا أنه لم يغفل التوجه نحو الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز، وسوف يعمل يلتسين بمجرد أن يجد هدوءاً فى بلاده إلى التوجه نحو الجنوب.

ويلتسين يعتبر نفسه رئيسا لروسيا وللروس أما روسيا فحدودها الجغرافية معلومة أما الروس فإنهم منتشرون فى أنحاء الجمهوريات الإسلامية وغير الإسلامية ولهذا فهو ينظر إليهم على أنهم من رعايا دولته ويجب الحفاظ عليهم.

وإذا كانت التسمية الشكلية لاتحاد الجمهوريات السوفيتية قد تداعت وانهارت فإن المحتوى الحقيقى والواقعى قائم على المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة.

وما زالت اللغة الروسية هى اللغة التى يتحدث بها زعماء رابطة كومنولث الدول المستقلة بما فيهم حكام الجمهوريات الإسلامية.

إن نشوة الإحساس بمفهوم السيادة والقومية والاستقلال الذى عم الجمهوريات الإسلامية منذ استقلالها أواخر سنة ١٩٩١ قد تحول إلى تأمل واقعى وإدراك حقيقى للمشاكل الناجمة عن التقسيم

(١) انظر مقالى: "آذربايجان وصراع الأيديولوجيات" المنشور فى صحيفة الإتحاد الصادرة فى أبو ظبى فى ١٩٩٣/٦/٣٠

السريع للاتحاد السوفيتى.

هناك ما يزيد عن خمس وثلاثين مليون روسى خارج الإتحاد الروسى ويقطن أكثر من ثلاثين مليون روسى الجمهوريات الإسلامية، ويعمل يلتسين على تحقيق امتيازات لصالح مواطنيه خارج روسيا.

لم يفكر زعماء الإتحاد السوفيتى السابق فى منح الروس إمتيازات ظاهرة وإن كانت الامتيازات قائمة بالفعل، ولم يحظ الروس بحماية خاصة من قبل الدولة، حيث أنهم كانوا مع بداية الحكم الشيوعى سنة ١٩١٧ وحتى ١٩٩١ ضمن شعب واحد هو "الشعب السوفيتى" وكان هناك تمييز بين المواطنة السوفيتية التى تشمل الجميع وبين الجنسية التى تحدد الإنتماء إلى وطن أو إقليم بعينه.

كان جميع أفراد الشعب يحملون المواطنة السوفيتية مع تحديد جنسية المواطن داخل الإتحاد فيكون أوزبكى أو تاجيكى أو تركمانى أو قرغيزى.

وفى مقابل تواجد الروس فى الجمهوريات الإسلامية، كان هناك مواطنون من تلك الجمهوريات فى روسيا الإتحادية أيضاً يعملون فى مصانعها ويزرعون فى مزارعها.

وقد ظهرت مشكلة الجنسية والمواطنة بعد الاستقلال حيث أن الروس فى الجمهوريات الإسلامية يعاملون كمواطنين كاملى المواطنة إلا أن يلتسين أراد بإلحاح شديد أن يحمل الروس "المواطنة المزدوجة" أى أن يكون مواطنا روسيا وكازاخستانيا أو تركمانيا أو أزبكيا أيضاً.

وفى الوقت الذى تطالب فيه روسيا بالمواطنة المزدوجة للروس خارج بلادها فإنها لا تمنحها لأكثر من نصف مليون مواطن غير روسى

فى أراضيها وتعاملهم على أنهم أجانب، ولما كان هؤلاء المهاجرون والنازحون قد انتقلوا إلى روسيا منذ زمن طويل فإنهم يشكلون الآن عبئاً اقتصادياً على روسيا وتحاول الحكومة الروسية التخلص منهم بإجراءات صارمة ومتعسفة.

وتعمل روسيا على طرح المواطنة المزدوجة لتربط المواطنين الروس بروسيا ومن ثم فإنها تضغط على الجمهوريات الإسلامية من أجل تحقيق أغراض سياسية واقتصادية وعسكرية لصالح روسيا.

كما أن هذا الطرح الروسى يعمل على إثارة مسائل إقليمية من أجل ضم بلاد أخرى إلى الإتحاد الروسى مثل أوسيتيا الشمالية وأبخازيا وجمهورية كازاخستان والتى تعتبرها جزءاً من روسيا القيصرية.

وقد أسست روسيا جمعيات للروس فى الجمهوريات الإسلامية وفتحت سفارات، وقنصليات تفتح أبوابها للروس للتعرف على أمور وأحوال تلك البلاد ومن ثم تنشط حركة التجسس مرة أخرى داخل الجمهوريات الإسلامية لصالح روسيا.

إن روسيا التى ارتبطت عضوياً بالجمهوريات الإسلامية لن تسمح لهذه الجمهوريات بالخروج عن دائرة نفوذها، أو العمل مع دول لا ترغب موسكو فيها، ومن ثم يبقى الخيار الروس قائماً، إن روسيا قد عملت على ربط الجمهوريات الإسلامية بها خلال معاهدات وإتفاقيات عسكرية وإقتصادية، ودخلت معها فى تكتلات اقتصادية عديدة إلا أن هذه التوجهات غير مجدية فى الوقت الحالى بسبب

الانهيار الإقتصادى لاقتصاد روسيا والتمزق السياسى الذى تعانى منه.

إلا أنه يجب التنويه بالقوى السياسية الجديدة التى بدأت تظهر على الساحة السياسية ممثلة فى فوز اليمين المتطرف فى الإنتخابات التى عُقدت فى شهر ديسمبر ١٩٩٣م وأسفرت عن فوز جرينوفسكى، القومى، اليمينى، المتطرف فى الإنتخابات البرلمانية مما يعنى أن الساحة السياسية ستشهد تطوراً خطيراً بسبب التوجهات والآراء التى تحكم سياسة جرينوفسكى.

وجرينوفسكى أكثر خطراً على الجمهوريات الإسلامية من يلتسين حيث أنه صرح بضرورة إعادة تشكيل الاتحاد السوفيتى ومد حدود بلاده إلى المحيط الهندى واستعادة أراضى روسيا القيصرية.

وعلى الرغم من تصريحات جرينوفسكى إلآ أن عجلة التاريخ لا تدور إلى الوراء وإذا كان التاريخ يعيد نفسه فإن الإعادة لا تكون على شاكلة سابقتها وإذا خرج المارد من قمقمه فإنه ليس من السهل إعادته إليه ثانية.

إيران والجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا

ترغب إيران فى أن تلعب دوراً متميزاً على الساحة الإسلامية ولكنها أكثر رغبة فى أن تقوم بدور بارز على الساحة الإقليمية، ومن هذا المنطق تدخل حلبة الصراع مع دول أخرى من أجل تثبيت أقدامها فى الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز.

لقد وجه الإمام الخمينى[1] رسالة إلى جوربا تشوف فى سنة ١٩٨٨ وقبل رحيله بشهور، دعاه فيها بأن يودع "النظرية الشيوعية فى متحف التاريخ" لأن الشيوعية لم تحقق الرغبات الحقيقية للإنسان، وقال له فى رسالته لقد وجه زعيم الصين أول ضربة للشيوعية وعليك أن توجه الضربة الثانية.

لم تكن رسالة الخمينى إلا تعبيراً عن الوضع الذى وصلت إليه الأحوال فى الإتحاد السوفيتى، الذى بدأ يتداعى حتى انفرط عقده.

كانت إيران قد دارت على عقبها دورة كاملة للتحرر من الهيمنة الأمريكية المسيطرة على البلاد، وتحولت من دولة حليفة وصديقة فى عهد الشاه إلى دولة معادية على طول الخط لأمريكا، ومن ثم فإنها لابد أن تحمى ظهرها فى وسط آسيا، ومن هنا كان التوجه نحو المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز.

كان ستالين قد عمل على قطع الصلة تماماً بين المسلمين فى وسط آسيا وجيرانهم، وسعى لرد المسلمين عن إسلامهم، ومن هذا المنطلق ضغط على المسلمين بشدة، وسيطر سيطرة كاملة على الحدود بينهم وبين الدول الإسلامية المجاورة، ومنعهم من الحج والخروج لزيارة الأماكن المقدسة.

لم تأت الضغوط الستالينية بنتيجة حيث اضطر خلفاؤه للعمل على التخفيف من هذه الضغوط، وفى عهد برجنيف أرسل عدة سفراء مسلمين إلى الدول العربية والإسلامية وكان الهدف من هذه الخطوة إقناع دول العالم الثالث بالنمو الاقتصادى فى آسيا الوسطى، وإقناع الرأى العام العالمى بديمقراطية الحكومة

(١) روز نامهء رسالت شماره ٨٧٤ دوشنبه ١٩ دى ١٣٦٧ ص ٣.

السوفيتية، كما كان الهدف إقناع الدول الإسلامية بأن الاتحاد السوفيتى صديق لهم.

وعندما قامت الثورة الإسلامية فى إيران فى سنة ١٩٧٩ أبدى الروس قلقاً، ولكن لم يكن يعادل قلق الأمريكان، وأبدى برجنيف هذا القلق خلال بيانه أمام الجمعية العامة للحزب الشيوعى حينما وصف الثورة الإيرانية بأنها من أجل خدمة الأهداف الإمبريالية (١).

كان السوفيت يخشون إجتذاب المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية للأفكار الإيرانية، وهدم المساعى التى قام بها الروس لمحو ومسخ العقيدة الإسلامية، وكان التخوف السوفيتى فى موضعه حيث أثرت الثورة الإسلامية بشكل مباشر فى المسلمين فى وسط آسيا والقوقاز، وبدأ تشكيل جمعيات سرية تابعة لإيران للعمل على الدعوة وإحياء الإسلام فى نفوس المسلمين.

أدى قيام الثورة الإسلامية فى إيران إلى تخفيف الضغوط على المسلمين حيث مال برجنيف آنذاك إلى إتباع سياسة اللين والمداراة مع المسلمين فى بلاده، وقد أدت هذه السياسة إلى تقوية الروح الإسلامية.

وأدى بعث الروح الإسلامية إلى توقف التزاوج بين المسلمين والروس، وتغير النظرة تجاه الروس باعتبارهم كفارا لا محتلين ومستعمرين فحسب. لقد أظهرت دراسة جامعية جرت سنة ١٩٧٩ عن المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز من أن ٨٠٪ من السكان يعتبرون أنفسهم مسلمين بالفعل منهم ١٥٪ متعصبون.

كما كان للحرب فى أفغانستان صدى كبير فى الجمهوريات الإسلامية فى

(١) إحسان طبرى - كژراهه - تهران انتشارات أميركبير ١٣٦٦ ص ١٤٣.

وسط آسيا - مع العلم بأن الجيش السوفيتى لم يكن يستخدم المسلمين فى الوحدات المحاربة ولا يثق فى إنتمائهم للجيس السوفيتى، بل كان المسلمون يلحقون بالوحدات العاملة فى الخدمة المدنية.

وعندما حل أندربوف محل برجنيف قام بإجراءات قاسية ضد المسلمين وقام بنقل عدد من الشباب من آسيا الوسطى إلى سيبيريا وشمال روسيا كما قام بنشر الكتب المعادية للإسلام والمسلمين فقد طبع ووزع ٤٩ كتاباً كل كتاب خمسمائة ألف نسخة فى سنة ١٩٨٣م.

وعلى الرغم من ذلك فإن المطبوعات والأشرطة والنشرات التى كان يرسلها المجاهدون الأفغان عبر الحدود التاجيكية والتركمانية كانت تجد طريقها وتترجم إلى الأزبكية والروسية وتوزع على الأهالى.

إن المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا يعتقدون أن إيران الإسلامية التى إستطاعت أن تواجه أمريكا " الشيطان الاكبر"(١) على حد تعبير الإيرانيين، فإنها قادرة على مساعدتهم للتخلص من الشيطان الثانى وهم الروس.

وقد تنبه الروس لإمكانية وجود علاقة بين المسلمين فى تلك الجمهوريات وإيران، ولذا تمركز الجيش الأحمر فى تركمانستان وتاجيكستان وآذربايجان لمواجهة إحتمال أى ثورة.

وإذا كان الاتحاد السوفيتى قد فك نفسه بنفسه لكن الجيش الأحمر

---

(١) شيطان بزرگ

ما زال متمركزا فى مواقعه ليؤكد أن الروس ما زالوا عند حدودهم القديمة.

وقد توجهت إيران إلى تلك الجمهوريات وعقدت معها إتفاقيات ثقافية واقتصادية مؤملة فى ذلك أن تعيد روابط الماضى التليد، ولكن ما زال أمامها الكثير من العقبات.

العرب وعلاقتهم بالجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا

عقب الغزو الروسى لإمارات تركستان الإسلامية، فر عدد كبير من أمراء وحكام ومواطنو تلك البلاد إلى مصر والشام ومكة، واستقبلهم العرب استقبالا طيبا واحسنوا وفادتهم ؛ وقبلوا اقامتهم كلاجئين سياسيين.

وظل الحصار الروسي قائما علي المسلمين ولم يسمح بالسفر لأداء فريضة الحج الا لعدد يسير لا يزيد عن خمسة اشخاص يكونون قد حظوا بقبول الحزب الشيوعى الحاكم.

ولم يقل اهتمام العرب بتلك البلاد إلا لظروف سياسية خاصة بكل دولة، حيث كانت العلاقات المصرية والسوفيتية جيدة فى فترة من الزمن ولم تطرح قضية المسلمين فى الاتحاد السوفيتى.

وكانت العلاقات بين الإتحاد السوفيتى ودول الخليج العربية والمملكة العربية السعودية مقطوعة، ولا توجد علاقات دبلوماسية ومن ثم فإن

مسألة المسلمين فى أسيا الوسطى والقوقاز لم تطرح على مائدة البحث.

يجب أن يعترف العرب جميعاً أنهم مقصرون فى حق هذه الجمهوريات الإسلامية وذلك لعدة أسباب:

أولها: أن العرب لم يطرحوا قضية الجمهوريات الإسلامية وأحوال المسلمين فى الإتحاد السوفيتى السابق سواء فيما بينهم أو على الساحة العالمية ويرجع هذا إلى سياسة التكتلات التى كان العرب يخضعون لها سواء فى خضوعهم للكتلة الشرقية أو الغربية.

ثانيها: إن القوى العربية لم تسع لمد يد العون لمساعدة المسلمين للتخلص من السيطرة الروسية، وكان حرياً بالقوى التى تساعد المسلمين فى الجزائر واليمن وظفار وغيرها من مناطق الصراع أن توجه دعمها المشروع إلى المسلمين فى الجمهوريات السوفيتية.

ثالثها: إن القوى العربية لم تسارع بمد يد العون الثقافى والإقتصادى إلى تلك الجمهوريات الإسلامية بالقدر الكافى على الرغم من مرور عامين على إستقلال هذه الدول مما يجعلها عرضة للتأرجح بين سياسة "الترويس" و "التتريك" "والتفريس".

رابعها: إن المعلومات المتوفرة لدى العرب عن تلك الجمهوريات محدودة ومشوهة وأغلبها مستقاة من مصادر أوربية.

خامسها: ان الجهود العربية الموجهة إلى تلك الجمهوريات مجزأة ومحدودة وموجهة فى كثير من الأحيان وهى فى مجملها قليلة.

سادسها: لم يقم بزيارة أى جمهورية إسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز أى حاكم عربى رئيس أو ملك أو أمير ولم يقم بزيارة أى عاصمة إسلامية لتلك الجمهوريات أى رئيس وزراء عربى وهذا فى حد ذاته تعبير عن تدنى الإدراك بأهمية هذه البلاد.

ولا يعنى هذا أن الدور العربى سوف يظل على هذا النمط المتراخى، وإنما نعزو ذلك إلى ما يلى:

١- إن الأحداث الإقليمية قد شغلت الزعماء العرب، ونقصد بها على وجه الخصوص غزو العراق لدولة الكويت فى ٢ أغسطس ١٩٩١ وهو نفس العام الذى بدأت فيه الجمهوريات الإسلامية الانفصال والاستقلال، والمعروف أن هذا الغزو قد أحدث شرخاً فى جدار العلاقات العربية، ونجم عنه انقسامات خطيرة بين الدول العربية مازالت آثاره قائمة حتى الآن.

٢- إن الموقف الأوربى والأمريكى من الجماهيرية الليبية فيما عرف باسم قضية لوكيربى قد أثار ردود فعل متباينة، وأظهر قلقا فى المنطقة العربية.

٣- إن التحولات العالمية قد تركت آثاراً بعيدة المدى مما جعل الدول العربية تعيد حساباتها مرة ثانية وتسعى للانضواء والتكيف مع ما يسمى بالنظام العالمى الجديد، وما زالت مستمرة فى سعيها للتأقلم مع نظرية لم يثبت صلاحيتها بعد.

وعلى الرغم من القصور العربى والتماس الأعذار لهذا القصور يبقى لنا أن ننظر إلى القضية من منطلق سياسى وإقتصادى وحضارى وسط تكتلات عالمية شرقية وغربية وبين أطماع لقوى سياسية عديدة من كل ناحية، من الجنوب إيران ومن الشرق الصين واليابان ومن الغرب تركيا ومن الشمال روسيا بالإضافة إلى

الإطماع الأوربية والأمريكية.

وإذا أراد العرب التعامل مع جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية لابد أن يعملوا على ما يلى:

أولاً: أن يقدموا العون الاقتصادى[1] لهذه الجمهوريات مثلما تقدم الدول الغربية وأمريكا واليابان مساعدتهم لروسيا، ففى الوقت الذى ترصد فيه هذه الدول مليارات من الدولارات لمساعدة روسيا الاتحادية لا يصل إلى الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى إلا عدة ملايين.

ثانياً: أن تتوجه الدول العربية الغنية بنقل إستثماراتها من الدول الأوربية إلى تلك الدول الإسلامية والتى تعد مجالاً خصباً للإستثمار .

ثالثاً: تشجيع القطاع الخاص ورجال الأعمال العرب على التوجه بأموالهم وإقامة المشروعات الصناعية والزراعية.

رابعاً: مد جسور العلاقات الثقافية مع هذه الدول عن طريق إنشاء المدارس العربية والدينية وإفتتاح معاهد لدراسة لغات هذه الشعوب، وإعداد الدعاة والمدرسين لتزويد هذه الدول بما تحتاجه من دعاة ومدرسين.

خامساً: محاولة فتح مجال الإستفادة من التقنية المتوفرة لدى هذه الدول فى المجال العسكرى والصناعى ونقل هذه التقنية إلى المصانع

---

(١) انظر توصيات المؤتمر الدولى الخاص بالمسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز والمنشور فى الجزء الأول من مجلة الأزهر جمادى الآخرة ١٤١٤هـ ص ٣٨.

العربية والإستفادة من البرامج العسكرية.

سادساً: إستيعاب علماء الطاقة النووية والإستفادة من خبراتهم، والحيلولة دون وقوعهم فى يد القوى المعادية للعرب.

سابعاً: التركيز على إستعادة تلك الجمهوريات للحرف العربى فى الكتابة بدلاً من الحرف اللاتينى.

ثامناً: أن يتم التنسيق والتعاون بين الدول العربية من أجل توحيد الجهد.

الجمهوريات والأقاليم ذات الحكم الذاتى

فى الإتحاد السوفيتى السابق

لقد ركز أغلب الباحثين فى شئون المسلمين على الجمهوريات المعروفة والتى تقع فى وسط آسيا والقوقاز، ولكن لم تحظ الجمهوريات الإسلامية ذات الاستقلال الذاتى أو الأقاليم التى تتمتع بحكم ذاتى بإهتمام كبير. والجمهوريات الإسلامية التى تتمتع بحكم ذاتى هى:

١- جمهورية قرا قالباق وتقع فى جمهورية أزبكستان بوسط آسيا.

٢- جمهورية نخجوان (ناختشيفان) وتقع فى جمهورية آذربايجان جنوب القوقاز.

٣- جمهورية ابخازيا وتقع فى جمهورية جورجيا (كرجستان قديما).

٤- جمهورية أجاريا وتقع فى جمهورية جورجيا (كرجستان قديماً)

٥- جمهورية باشكيرستان وجمهورية تاتارستان وجمهورة الجيوفاش وجمهورية الشيسان (چيچن) والانجوش (انگوش) وجمهورية داغستان وجمهورية كاباردين - البلكار وجمهورية اوسيتيا الشمالية وهى سبع جمهوريات ذات حكم ذاتى ضمن الاتحاد الروسى(١).

أما الأقاليم ذات الحكم الذاتى فهى:

١- إقليم بدخشان فى جمهورية تاجيكستان

٢- إقليم قره باغ (قرا باخ) فى جمهورية آذربايجان ويخضع لسيادة جمهورية أرمينيا.

---

(١) انظر: مسئله اقليتهاى ملى در شوروى - أ - أوتور خانوف - ترجمه فتح الله ديده بان تهران ١٣٧١ هـ ش

٣- إقليم أوسيتيا الجنوبية فى جمهورية جورجيا.

٤- إقليم الأوديجا وإقليم قره شاى شركس (قره چاى چركس) وإقليم استراخان وإقليم أورنبرج وإقليم ادمورث وإقليم مارى وإقليم موردوف، وهى أقاليم ثمانية ضمن الاتحاد الروسى.

والمسلمون فى الأقاليم والجمهوريات الخاضعة لجمهوريات إسلامية لا يعانون من مشاكل خاصة بهم وإنما مجمل مشاكلهم من طبيعة مشاكل الجمهوريات الإسلامية ككل بالإضافة إلى مشاكل العرقيات التى لا تخلو منها جمهورية.

وإذا كان إقليم قره باغ فى آذربايجان يشهد صراعا بين أرمينيا وآذربايجان فإن هذا الصراع لا ينسحب على باقى الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا.

أما المسلمون فى الإتحاد الروسى فهم يعدون إمتداداً للمسلمين فى وسط آسيا والقوقاز وقد إنتشر الإسلام بينهم بفعل التجار والدعاة والرحالة والمهاجرين من البلاد الإسلامية إلى تلك المناطق.

ويشكل المسلمون(١) ما بين ٥٣٪ إلى ٨٠٪ من عدد السكان حيث يشكلون ٥٥٪ فى بشكيرستان وتاتارستان وموردوف و ٥٣٪ فى إقليم مارى واورنبرج و ٦٠٪ فى إقليم أدمورث و ٧٠٪ فى جمهورية الجيوفاش وجمهورية بلكاريا - كباردين و ٧٥٪ فى داغستان والشيشان - انجوش و ٨٠٪ فى قره شاى شركس وبلاد الأوديجا.

---

(١) انظر: المسلمون والحكم الشيوعى - د. محمود متولى دراسة تاريخية - مؤتمر: المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز - جامعة الأزهر ٢٨-٣٠ سبتمبر المجلد الثالث ص ٣٣١.

والمسلمون فى الإتحاد الروسى يزيدون عن ثلاثين مليون مسلم، ويقطن موسكو نفسها أكثر من نصف مليون مسلم.

والسبب الرئيسى فى كثرة الجمهوريات والمقاطعات المستقلة ذاتيا ضمن الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا والإتحاد الروسى والقوقاز إنما يرجع إلى كثرة الأجناس والعرقيات.

والمسلمون ينتمون إلى ثلاث مجموعات عرقية هى:

١- الجنس التركى

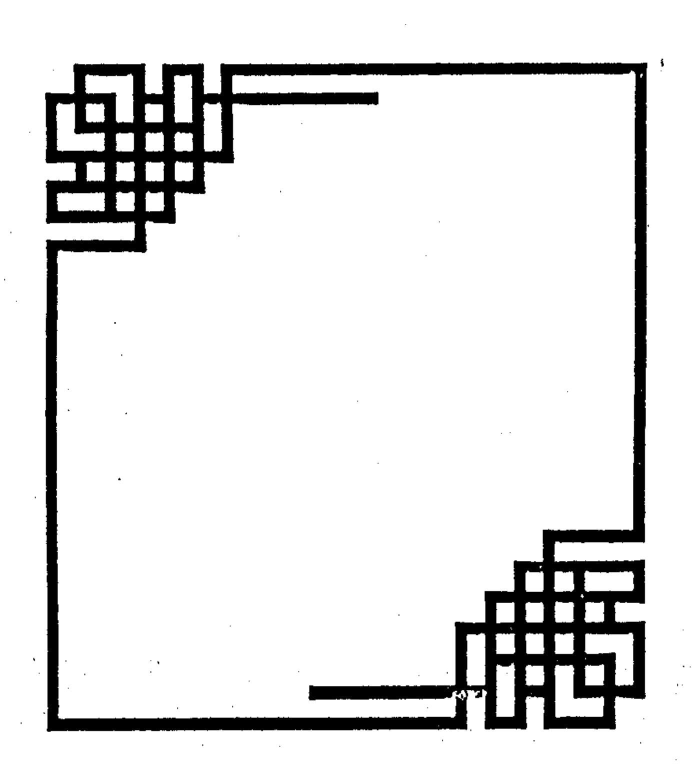
٢- الجنس الإيرانى

٣- الجنس الإيبروقوقازى

وهذه الأجناس الثلاثة تنفرع إلى عشرات الفروع ومن ثم نجد أن كل جماعة فرعية قد وجدت لها إقليما أو جمهورية داخل الإتحاد السوفيتى السابق ومن هذه الأجناس الفرعية: القزاق والأوزبك والأويغور والقراقالباق والتركمان والقرقيز والتاجيك والتاتار والباشكير والداغستانيون والمنغيت واتراك التاى والآذريون والشيشان والأنجوش والجيوفاش والأوديج والكاباردين والبلكار والأوستين والآجار والابخاز والشركس (١) .... إلخ.

(١) انظر مقالى "النزعات القومية وانعكاساتها على الجمهوريات المستقلة" فى صحيفة الإتحاد الصادرة فى أبو ظبى فى ٢٠/١/١٩٩٣.

وإذا كانت طموحات المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية فى وسط أسيا والقوقاز قد تحققت باستقلالهم إلا أن أكثر من ثلاثين مليون مسلم -- يعادلون نصف عدد المسلمين فى تلك الجمهوريات المستقلة – مازالوا يطمحون لتحقيق إستقلالهم الكامل عن الاتحاد الروسى [1] .



(١) انظر مقالاتى عن المسلمين فى تلك الجمهوريات والأقاليم والمنشورة فى صحيفة الإتحاد الصادرة فى أبو ظبى

التاتار	بتاريخ	٩٣/٢/٢٨
الشيشان	بتاريخ	٩٣/٢/٢٥
الشركس	بتاريخ	٩٣/٢/٢٧
الداغستانيون	بتاريخ	٩٣/٣/٢
الأنجوش	بتاريخ	٩٣/٢/٢٤
الابخاز	بتاريخ	٩٣/٣/٥

مستقبل الجمهوريات الإسلامية
فى وسط آسيا

مستقبل الجمهوريات الإسلامية

فى وسط آسيا

على ضوء المتغيرات الدولية

اذا كانت الجمهوريات الاسلامية فى وسط آسيا والقوقاز قد تحررت من ربقة الاستعباد الروسى والهيمنة الشيوعية أمام العالم إلا أنها فى الواقع مازالت مكبلة بأغلال الماضى، مازال الروس يتربعون على عرش السلطة فى أغلب هذه الجمهوريات، ومازالت الأفكار الشيوعية مسيطرة على أذهان الحكام .

ولايعنى هذا أن الوضع السياسى والاقتصادى والثقافى والاجتماعى فى تلك الدول مازال كما هو، بل ان تغييرات كثيرة قد طرأت خلال العامين الماضيين حيث حدث انفراج سياسى وظهور أحزاب وجماعات وقوى سياسية لم تكن موجودة من قبل، وأخذ الاقتصاد يترنح فى تلك الدول محاولا التخلص من قيود الماضى ولكن تعثره ازداد بسبب التخبط فى نوعية التحول، بالاضافة إلى أن روسيا كانت قد أهملت الاقتصاد والتنمية فى تلك الدول حتى إنهارت مؤسساتها الاقتصادية وانخفض مستوى الإنتاج.

أما على المستوى الاجتماعى فإن حالة من الذعر، والخوف من الجوع قد سيطرت على الشعوب بسبب ما تعانيه روسيا نفسها من مجاعة، وانخفضت قيمة العملة، وتدهورت الخدمات الاجتماعية ومؤسسات التعليم، وظهرت طبقة جديدة من المنتفعين إلا أن غالبية الشعوب تعانى من قلق الخوف من المستقبل.

وفى مجال الثقافة والتعليم فإن هذه الدول ما زالت مترددة فى إستعمال الحرف العربى أو اللاتينى، وإن كان استعمال الحرف اللاتينى هو الأكثر قبولا لديها بسبب التوجه التركى نحو تتريك ثقافة هذه الشعوب.

وتتصارع بعض الإتجاهات والأحزاب التى ظهرت عقب استقلال هذه الدول ويمكن حصر هذه الميول والإتجاهات فيما يلى:-

١- **أحزاب شيوعية** ما زالت محتفظة بدورها فى قيادة هذه الشعوب، ولا تسمح للإتجاهات والجماعات الأخرى بالقيام بأى دور، وتعمل على المحافظة على الموروثات الشيوعية وتعارض فتح المجال للديمقراطية.

٢- **حركات المقاومة الوطنية** وهى التى تعمل على توكيد الاستقلال الوطنى وتحارب من أجل الحفاظ على القومية، مع العمل على سيطرتها على السلطة.

٣- **الجماعات والأحزاب الروسية** التى ينتمى إليها الروس والمؤيدين لهم والتى تعمل على بقاء الإتحاد مع روسيا، وهى محمية من الجيش الأحمر.

٤- **الجماعات الديمقراطية** وهى تتكون من أقليات صغيرة تعمل على إيجاد حكومة شرعية واشاعة الحياة الديمقراطية، وأعضاء هذه الجماعات من المثقفين والمتعلمين.

٥- **الجماعات الإسلامية** وهى تعمل تحت رعاية رجال الدين، وكانوا من قبل يعملون فى السر وبعيدا فى الأرياف والجبال.

إن الحاضر هو وليد الماضى والمستقبل هو ابن الحاضر، ولذلك فإن المشاكل التى يعانى منها المسلمون فى الجمهوريات الإسلامية هى نتاج سنوات

طويلة من السيطرة الروسية، وسوف تظل تعانى من جراء وقائع الماضى.

إن الشعوب الإسلامية فى وسط آسيا تعانى من مصاعب جمة على المستوى الداخلى وعلى الصعيد الخارجى، فهى فى الداخل متخبطة فى اختيار النهج الذى ستسلكه، حيث تتشابك الأفكار الشيوعية مع سياسة الإنفتاح الإقتصادى وإقتصاد السوق، وتتبارز التوجهات العلمانية مع الإسلامية ولم يتضح بعد على أى نهج ستسير هذه الجمهوريات.

وعلى الصعيد الدولى فإن المتغيرات الدولية قد ألقت بظلالها على كاهل هذه الدول، حيث تتصادم المصالح الدولية، وتتصارع القوى العالمية، ولكن هذا الصدام وذلك الصراع لم يأتيا بالثمرة المرجوة من أجل بناء إقتصاد هذه الدول.

وإذا ظل ساسة الدول الإسلامية فى وسط أسيا والقوقاز يمدون أيديهم إلى العالم طلباً للمساعدة والعون لحل مشاكلهم، فإنهم لن يحققوا إلا ما حققه جورباتشوف ويلتسين، ولن يزدادوا إلا فقرا وتخلفا.

إن المتغيرات الدولية تبرز أن العالم مشغول بنفسه ويمكن رصد هذه الملاحظة فى النقاط التالية:

١- أوربا انكفأت على نفسها لحل مشاكلها الإقتصادية كالبطالة وانخاض قيمة العملة وضعف التصدير، وأسست جامعتها الأوربية التى تعنى بحل مشاكلها الاقتصادية والسياسية، وأصبح إهتمامها بما يجرى خارج أوربا ضعيفاً، ويلاحظ ذلك فى حجم مشاركتها فى القضايا العالمية.

٢- أسست الولايات المتحدة الأمريكية المجموعة المسماة بالنافتا والتى تهتم بالشئون الإقتصادية لأمريكا الشمالية.

٣- أسس الأغنياء فى الشرق الأقصى مجموعة إقتصادية ضمت "النمور الآسيوية" التى اكتسحت العالم بحجم صادراتها.

٤- ربطت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها بدول المحيط الهادى، وعقدت معاهدات واتفاقيات اقتصادية.

وإذا كان العالم يتجه إلى إقامة تكتلات إقتصادية فإن رابطة كومنولث الدول المستقلة قد عقدت إتفاقيات اقتصادية، ودخلت بعضها ضمن مجموعة دول بحر الخزر والأخرى فى مجموعة الايكو ولكن مازالت هذه الإتفاقيات مجرد حبر على ورق.

إن الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا لديها الإمكانيات التى يمكنها أن تحقق وحدتها السياسية وتكتلها الإقتصادى وتجانسها الثقافى.

ففى المجال السياسى يمكنها أن تعيد تشكيل تركستان القديمة والمعلومة بحدودها السابقة، ليس بالضرورة أن تكون باسم تركستان، ولكن من الضرورى أن تكون خريطتها الجغرافية هى نفس خريطة تركستان.. ويمكنها أن تشكل دولة كونفدرالية على شاكلة الهند أو دولة الإمارات العربية المتحدة أو فيدرالية على شاكلة ألمانيا الإتحادية.

وإذا كانت هذه الدول تشكل كتلة سياسية واحدة، فإنها تستطيع أن تعيد بعث اقتصادها المنهار، حيث أنها منطقة غنية بالمحاصيل الزراعية والمعادن والبترول والثروة الحيوانية.

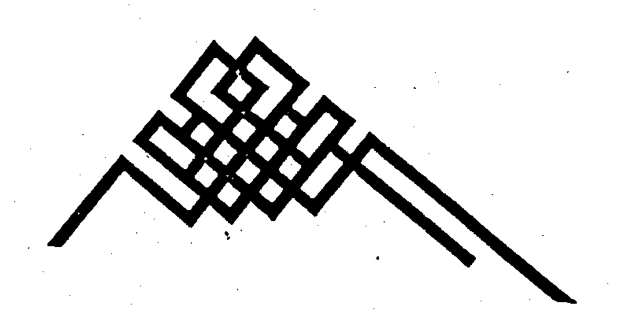
وتقدر مساحة الأراضى الزراعية بـ ١١٧ مليون فدان[١] إنتاجها من الحبوب ست مليارات طن سنوياً ومن الخضر ست مليارات طن.

أما من ناحية الثروة الحيوانية ففيها ٥٩ مليون رأس من الأغنام و ١٧ مليون رأس من الماشية.

وتتوافر المعادن المختلفة من نحاس ورصاص وزنك وفضة وحديد وذهب ومنجنيز وغاز طبيعى ونفط..

إن هذه الدول بقدراتها الاقتصادية قادرة على تشكيل تكتل اقتصادى كبير يضارع السوق الأوربية المشتركة.

أما فى المجال الثقافى فإنها جميعاً وريثة للتراث الإسلامى وللثقافة الإسلامية وستكون أكثر تجانساً لو أنها اتخذت الخط العربى خطاً للغاتها المختلفة، ووحدت مدارسها وأجهزتها الإعلامية والثقافية.



(١) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى سابقاً – دراسة اجتماعية – اقتصادية – سياسية – د. محمود أبو العلا القاهرة ط١ ص ٤٩.

آفاق التعاون الاقتصادى والسياسى بين جميع الجمهوريات الاسلامية فى وسط آسيا

آفاق التعاون الاقتصادى والسياسى
بين جميع الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا

إن تحول الاقتصاد السوفيتى من الشمولية إلى التخصيص، ومن المركزية إلى المحلية أمر لم يكن سهلاً وميسوراً، بل كانت عملية جراحية صعبة لم يشف من علتها المريض بعد .

لم يكن لمواطنى الجمهوريات الإسلامية وغيرهم حق تملك الأرض والموارد الطبيعية والامكانيات الاقتصادية، لم يكن للشعب الآذرى فى آذربايجان حق إمتلاك آبار ومعامل تكرير البترول، ولم يكن للشعب الأوزبكى حق إمتلاك المصانع الكبرى والمزارع الواسعة على أرضه، ولم يكن للشعب القزاقى حق إمتلاك مصانع الدبابات أو القوة النووية التى على أرضه بل كان الكل ملكا للحكومة المركزية فى موسكو .

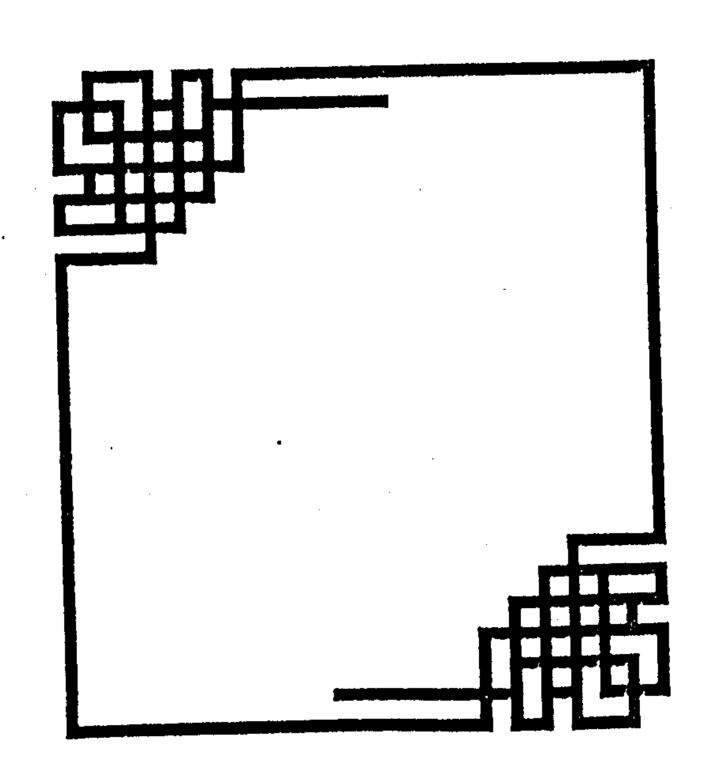
وعندما أنهار الإتحاد السوفيتى، استولت كل دولة على ماديها من ممتلكات، وفقدت الإدارة المركزية الموارد القادمة إليها من خارج موسكو، بينما أصبحت المشروعات والمصانع والشركات والمزارع ملكا للمحليات، والإدارة المحلية ليس لديها الخبرة الكافية ولا الكفاءة العالية فاستمر مسلسل الإنهيار .

ولما كانت جمهوريات وسط آسيا والقوقاز تحذو حذو روسيا فى كل ما تفعله لذا اتجهت هذه الدول للأخذ باقتصاد السوق والعمل على الخصخصة وهى إجراءات لم يكن اقتصاد هذه الدول مهيئاً لها .

وكما حدث فى الاقتصاد حدث فى السياسة فقد كانت الحكومة

المركزية بيدها كل مقاليد الحكم، وعندما أنهار النظام، وفقدت النظرية السياسية القائمة هويتها ،وأصبح الحكام فى الجمهوريات الإسلامية وغيرها يبحثون عن نظرية سياسية يختبئون وراءها ويسيرون على هديها ، فهم غير قادرين على السير وراء النظرية الشيوعية السابقة ولا قادرين على ملاحقة النظم الغربية، ولا هم مستعدون لمتابعة النهج الاسلامى، ومن ثم فقد اختلطت النظريات فى عقول الحكام .

وعلى ضوء هذه التحليلات يمكن دراسة آفاق التعاون بين الجمهوريات الاسلامية والعالم الاسلامى والعربى فى المجالات الاقتصادية والسياسية لعل الجانبين يلتقيان عند جسر واحد ليعبران سويا إلى القرن الحادى والعشرين



آفاق التعاون الاقتصادى

تسعى الدول الأسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز اختيار نظام اقتصادى يصلح لها بعد الفشل الذريع للنظرية الشيوعية، ولكن هذه الدول تخشى الاقدام على إتباع النظام الغربى لأن التركيبة الاقتصادية والاجتماعية والسكانية والسياسية مختلفة تماماً عن الحياة الغربية ، وتخشى الدول الإسلامية الوليدة فى آسيا الوسطى والقوقاز الأخذ بالنظام الغربى للأسباب التالية :-

أولاً :-لأن اقتصادها درج على نظام اقتصادى جامد لا يقبل التحول بسهولة، مع ارتباطه بالنظام الاجتماعى وأن أى تغيير فى النظام الإقتصادى ستنعكس آثاره على المجتمع .

ثانياً :- البطالة - والتضخم - والكساد أمراض يعانى منها الاقتصاد الرأسمالى ومن ثم فإن الأخذ به قد يجعل هذه الدول تقع فى تلك الأزمات بسبب عدم توافر الخبرة.

ثالثاً :- إن الاقتصاد الغربى قائم على الخصخصة ولا يمكن تحويل اقتصاد كامل إلى قطاع خاص دون حدوث أزمات ومشاكل وفوضى اقتصادية .

رابعاً :- إن الاقتصاد الغربى يتفاعل مع الاقتصاد فى دول العالم المختلفة وهذه الدول لا يمكنها التفاعل مع الأنظمة الاقتصادية الأخرى التى سبقتها فى الأخذ بالنظام الغربى .

ونتيجة لهذه الأسباب فإن الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا

والقوقاز تتردد فى الأخذ بالنظام الرأسمالى وتبحث عن هوية اقتصادية ونموذج قد يساعدها فى إقالتها من عثرتها .

ومن هنا نجد أن إتباع النظام الرأسمالى مستحيل والإرتداد إلى النظام الاشتراكى أكثر استحالة لهذا ظهرت برامج الاصلاح الاقتصادى فى الأفق لكى تحل مشكلة التبعية الاقتصادية السابقة لروسيا وتخلص اقتصادها من عيوب النظام الاقتصادى الاشتراكى وتتجاوز مشكلة نقص السيولة اللازمة لإقامة البنية الأساسية (١).

أخذت الدول الإسلامية فى سن قوانين للاصلاح الاقتصادى تتوافق مع مواردها الذاتية وأوضاعها الاجتماعية والسياسية .

ففى ازبكستان كان الإصلاح الاقتصادى يقوم على توزيع الأراضى على المزارعين وفتح المجال للمشروعات المشتركة مع الأجانب واصدار قانون بشأن الخصخصة وإنشاء بنوك تجارية (٢)

وفى تركمانستان صدر قانون أقر ملكية الأرض للشعب وسمح بتقسيم الأراضى الزراعية ، وصدر قانون "التجريد والخصخصة" كما صدر قانون خاص بالاستثمار للمواطنين والأجانب .

ولكن قرغيرستان كانت أسرع فى الاصلاح الاقتصادى ويبدو أنها سلكت

---

(١) الجمهوريات الاسلامية المستقلة ماض مجيد وحاضر قلق ومستقبل غامض- السيد عبد الرءوف مؤتمر المسلمون فى أسيا الوسطى والقوقاز المجلد الثامن ص ٦٦.

(٢) المسلمون فى أسيا الوسطى - الجزء الثالث - مصطفى دسوقى كسبه - ملحق مجلة الأزهر ص ٢١٨ - ٢١٩.

مسلك روسيا فوضعت برنامجا اقتصاديا يمنع بيع أو شراء أو منح أو رهن أو مقايضة الأراضى الزراعية لأن أهل البلاد من البدو لا يفضلون الملكية الخاصة ، كما أصدرت قانونا للتعاوينات والمشروعات المشتركة مع الأجانب(١)

أما تاجيكستان فلم تسمح الظروف السياسية بإتخاذ أى موقف أقتصادى ومازالت الأمور السياسية والعسكرية مضطربة .

أما كازاخستان فإنها تدور فى فلك روسيا وهى تميل أكثر إلى النظام الإشتراكى مع فتح الباب قليلا أمام الإصلاحات الإقتصادية .

وتلجأ الدول الأسلامية فى وسط آسيا إلى الأنضمام لجماعات اقتصادية وأهم هذه المنظمات الاقتصادية :

- **رابطة كومنولث الدول المستقلة** وهى رابطة سياسية سعت فى الآونة الأخيرة لاتخاذ قرارات اقتصادية ولكنها قرارات هزيلة لم تظهر آثارها بعد .
- **منظمة التعاون الاقتصادى "إيكو"** وهى منظمة تأسست سنه ١٩٦٤ من تركيا وايران وباكستان وتهدف إلى التعاون الاقتصادى بين الدول الثلاث، ولم تحقق هذه المنظمة أى تغيرات فى النظم الاقتصادية للدول الثلاث وظلت شبة جامدة حتى سنة ١٩٩١ حيث بدأ النشاط ثانية بالإجتماع الأول للمنظمة فى طهران ثم أعقبة إجتماع فى أنقرة وأثمر

(١) الأوضاع الاقتصادية فى الجمهوريات قرغيرستان، طاجيكستان، تركمانستان، أوزبكستان، والقوقاز- د. سهير عبد العال ص ٣٠٧

الاجتماع عن إنشاء بنك للتنمية، وفى الاجتماع الثالث باسلام آباد فى ديسمبر ١٩٩٢ طالبت جمهوريات آسيا الوسطى وأفغانستان الأنضمام إلى المنظمة وتم قبولهم كأعضاء فى منظمة التعاون الاقتصادى " إيكو" .

ولكن هذه المنظمة تواجه تهديدات عديدة منها (١) ....:

- **القلق الشديد الذى أبداه الغرب من هذا التجمع الأسلامى الضخم .**
- **تحرك صهيونى - هندى مشترك لمواجهة ما أسموه بالخطر الإسلامى الأصولى.**
- **الموقف الروسى الذى ما يزال يعتبر نفسه صاحب النفوذ الأكبر فى وسط آسيا .**

أما التهديدات الداخلية فتتمثل فى المشاكل العرقية وتشابك العملية الاقتصادية وتضارب الموقف التركى والإيرانى :-

- **منظمة البحر الأسود الاقتصادية** وهى منظمة حديثة لم تظهر إلا فى سنة ١٩٩٠ وتضم هذه المنظمة الدول الواقعة على البحر الأسود وهى تركيا- وروسيا - وبلغاريا - ورومانيا - وجورجيا - واوكرانيا .

ولكن المنظمة ضمت لعضويتها دولاً لا تقع على البحر الأسود وهى البانيا - واليونان - وكازاخستان - وقرغيزستان - وازبكستان - وتركمانستان - وتاجيكستان - وأرمينيا- وملدافيا .

وهذه المنظمة تهتم بالتعاون فى مجالات حرية حركة السلع والعمالة ورأس المال والخدمات وتخفيض التعريفة الجمركية .

---

(١) المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز - الأزهر حـ ٣ ص ٣٣٣- ٣٣٤

ولكن هذه المنظمة لا تحقق طموحات الدول المستقلة حديثاً وإنما هى محاولة لربط هذه الدول بعجلة الاقتصاد الأوربى دون إدماجها فيه، مع ابعاد هذه الدول عن تكوين تجمع اقتصادى أسلامى، وإبعاد أيران عن دائرة التأثير.

- منظمة تعاون دول بحر الخزر وتتكون من الدول المحيطة ببحر الخزر وهى: إيران وروسيا وتركمانستان وكازاخستان وآذربايجان وهى أيضا منظمة موجهة لإبعاد تركيا عن الساحة مع الحفاظ لروسيا على نصيبها فى بترول بحر قزوين .

ومن الملاحظ أن الجمهوريات الإسلامية فى وسط أسيا والقوقاز مازالت تبحث لها عن هوية اقتصادية، وتلجأ إلى المنظمات الاقتصادية لعلها فى انضمامها لهذه المنظمات تحقق هدفها، وتبنى اقتصادها .

آفاق التعاون السياسى

إن بروز ما يسمى بالنظام العالمى الجديد ليس حلاً للمشاكل العالمية والإقليمية، بل إن هذا النظام قد أذكى بشكل ما النزعات العرقية والدينية التى كانت قد خمدت، والتى تمثل معول هدم فى البناء الحضارى الإسلامى. إن إذكاء النزعات العرقية والدينية قضية ليست بالعالمية وإنما هى قضية تهم العالم الإسلامى على وجه الخصوص فقضية البوسنة والهرسك والصومال وكشمير وتاجيكستان وقره باغ وأبخازيا هى قضايا تهم العالم

الإسلامى وتقع فى قلب العالم الإسلامى، ولو تتبعنا النزعات العرقية والدينية لوجدناها تختفى فى أوربا باستثناء قضية المسلمين فى البوسنة، وتختفى فى الأمريكتين واستراليا، وتبرز فى أفريقيا وآسيا حيث يتواجد المسلمون، مما يعنى أن ترتيباً خاصاً قد أعد من اجل إثارة هذه النزعات .

والجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا هى جزء من العالم الاسلامى وتتنازعها التكتلات الإقليمية حيث أنها تلحق بالشرق الأوسط ، وبالعالم الإسلامى، وبرابطة كومنولث الدول المستقلة، وهى مع ذلك لا تشكل كتلة سياسية واحدة فهى ترتبط بأقاليم خارجها .

وعلى الرغم من أن تركستان الإسلامية كانت وجوداً مستقلا وتكتلا سياسياً يشغل حيزا جغرافيا فى القرون الماضية وحتى القرن التاسع عشر الميلادى إلا أن هذا التكتل السياسى لاوجود له الآن على الخريطة السياسية .ولما كان لتركستان وجودها الحقيقى من خلال إرتباطها بالخلافة الإسلامية أو ارتباطها بالحكومات الإيرانية السابقة أو إرتباطها بموسكو .

لهذا فأن هذه الجمهوريات يجب أن ترتبط سياسيا بالشمال أو الجنوب لبتحقق لها الوجود السياسى والتأثير على مجريات السياسة العالمية وإذا ارادت الجمهوريات الإسلامية التوجه نحو الكتلة الإسلامية والتى تشغل موقعاً جغرافياً متميزاً فى قلب العالم مع وجود منظمتها المسماه بمنظمة المؤتمر الأسلامى فإنها بذلك تسهم فى خلق نظام إقليمى إسلامى قائم على الأرض بالفعل وله ارهاصات وجود وفاعلية إذا ما طور نفسه .

والجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا تجد على الساحة الإسلامية قوى سياسية يمكن التعامل معها وهى إيران وتركيا ومصر وتمثل

مثلث القوة الإقليمي (١)

ومثلث القوة الإقليمى يضاف إليه المملكة العربية السعودية لتمثل مع مصر الدور العربى المؤثر فى الساحة السياسية العالمية.

وإيران التى تتمتع بدور إقليمى بارز قد ظهرت على الساحة لما لديها من مكانة إقليمية وعسكرية بعد تدمير القوة العسكرية العراقية بالإضافة إلى إنهيار الاتحاد السوفيتى .

وتأمل ايران فى ملء الفراغ الذى سببه انهيار الاتحاد السوفيتى خاصة أنها تسعى لملأ الفراغ فى منطقة الخليج العربى وطرد مصر كقوة عربية من المشاركة فى تدابير أمنية بالخليج وقد نجح مسعاها فى عرقلة الإجراءات الامنية وما زالت تعمل على اثبات هيمنتها على المنطقة وتعمل إيران على ملء هذا الفراغ بالتواجد فى حل الخلافات القائمة بين الجمهوريات الإسلامية وغيرها من دول الكومنولث مثل آذربايجان وجورجيا والعمل على حل مشكلة تاجيكستان والتدخل لفض النزاع على السلطة فى أفغانستان وتاجيكستان.

وتعمل إيران أيضا على نطوير أسلحتها والاستعانة بالكفاءة الروسية فى المجال النووى، وقد اشترت غواصتين نوويتين خلال عام ٩٣ كما تسعى لتطوير قدراتها النووية مع الهند والصين .

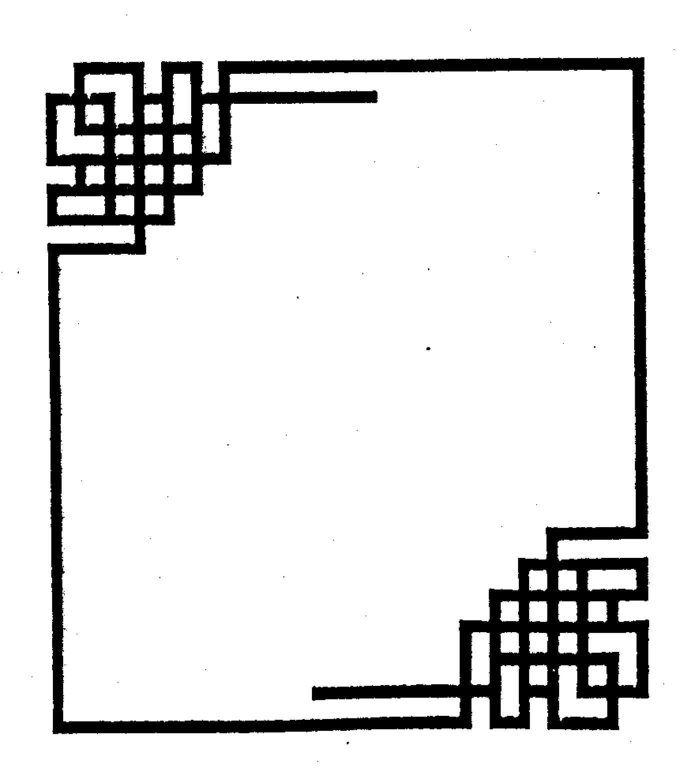
أما تركيا فتأمل فى أن تحل محل روسيا فى الهيمنة على الجمهوريات

---

(١) استراتيجية الاستعمار والتحرير د. جمال حمدان - القاهرة ١٩٨٣ ص ٤١٦ .

الاسلامية وملء الفراغ بحكم الجنسية التركية واللغة التركية والنموذج العلماني والتأييد الغربي والأمريكي لها، ويبدو أن هذه الجمهوريات تفضل النموذج التركي طمعاً في المعونات والمساعدات القادمة من الغرب وأمريكا، وطمعاً في إرضاء أوربا وأمريكا عن ساساتها .

أما العرب فإنه على الرغم من تفكك الإرادة السياسية العربية إلا أنه مازال لبعض الدول العربية التأثير القوى على مجريات الأحداث وهى مصر والمملكة العربية السعودية، ويمكن تطوير هذه الإرادة المجزأة وتوحيدها ولو فى أبسط صورها، وعندئذ يمكن تطوير مشروع التعاون السياسى مع العرب حيث لا تتوافر نوايا الهيمنة والسيطرة على الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز .



المصادر المراجع

١- إستراتيجية الاستعمار والتحرر - د. جمال حمدان - القاهرة ١٩٨٣م

٢- إسلام وشوروى - كريم روشنيان - تهران ١٣٣٠ هـ .ش .

٣- أقوام مسلمان اتحاد جماهير شوروى - شيرين أكينر ترجمه ء د. محمد حسين آريا - تهران ١٣٦٧ هـ. ش .

٤- الأوضاع الاقتصادية فى الجمهوريات قرغيز ستان - طاجيكستان - تركمانستان - اوزبكستان والقوقاز د. سمير عبد العال - القاهرة.

٥- تاريخ بخارى - أرمينوس فامبرى ترجمة د. أحمد محمود الساداتى - القاهرة .

٦- تاريخ الدول الإسلامية فى آسيا وحضارتهم د. أحمد محمود الساداتى - القاهرة ١٩٧٩ .

٧- حكومت مسكو ومسئله ء مسلمانان آسياى مركزى شوروى - مايكل ريوكين ترجمه ء د. محمود رمضان زاده - مشهد ١٣٦٦ هـ.ش

٨- الجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى بين الماضى والحاضر د. محمد عبد القادر أحمد - القاهرة ١٩٩٢

٩- الجمهوريات الإسلامية المستقلة ماض مجيد وحاضر قلق ومستقبل غامض - السيد عبد الرءوف - المجلد الثامن من موتمر "المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز" .

١٠- دائرة المعارف الإسلامية - يصدرها بالعربية أحمد الشنتناوى وآخرون - بيروت دار المعرفة .

١١- روزنامه ء رسالت شماره ٨٧٤

١٢- روزنامه ء كيهان شماره ٤١٠
١٣- روزنامه ء نيمروز شمارها ى مختلف
١٤- روضة الصفا فى سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء لميرخواند ج٤ ترجمة د. أحمد الشاذلى القاهرة ١٩٨٨ .
١٥- سياست خارجى - مجلة ء فصلنامه - سال چهارم پائيز ١٣٦٩ هـ ش - شماره سوم / وسال پنچم بهار ١٣٧٠هـ . ش شماره اول - سال ششم تابستان ١٣٧١ و پائيز ١٣٧١ شماره دوم وسوم - دفتر مطالعات سياسى وبين المللى صاحب إمتياز د. على أكبر ولا يتى .
١٦- شناسائى منابع ومآخذ تاريخ ايران - د. عزيز الله بيات - جلد اول تهران ١٣٦٣ هـ. ش.
١٧- شوروى : إسلام وآسياى مركزى - اليويه روا ترجمه ء أحمدمنصورى
١٨- صحيفة الاتحاد - مقالات مختلفة تحت عنوان "مع المسلمين فى كل مكان" د. أحمد الشاذلى .
١٩- العالم الإسلامى - محمود شاكر بيروت ١٩٨٠ .
٢٠- كژ راهه - احسان طبرى - تهران ١٣٦٦ هـ . ش انتشارات أمير كبير
٢١- مسئله ء أقليتهاى ملى د. شوروى - آ- آوتور خانوف - ترجمه ء فتح الله د يده بان تهران ١٣٧١ هـ . ش
٢٢- المسلمون فى الاتحاد السوفيتى سابقا - دراسة اجتماعية - اقتصادية - سياسية - د. محمود أبو العلا - القاهرة حـ١
٢٣- المسلمون فى الاتحاد السوفيتى والقوقاز ج١ - ج٢ - ج٣ - إعداد

مصطفى دسوقى كسبه عن بحوث المؤتمر الدولى "المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز" جمادى الآخر ورجب وشعبان ١٤١٤ هـ.

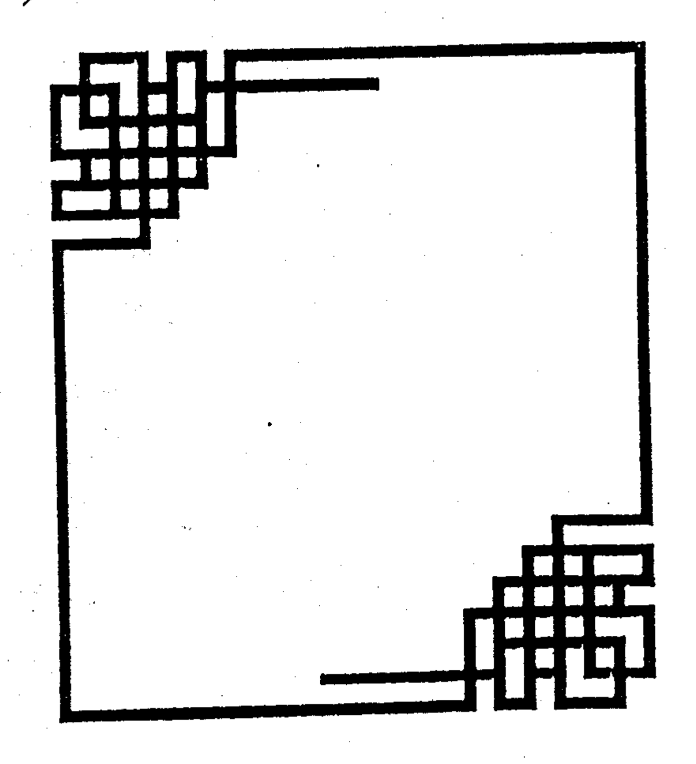
٢٤- المسلمون والحكم الشيوعى - د. محمد متولى دراسة تاريخية - المجلد الثالث من مؤتمر "المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز" .

٢٥- مليث هاى آسياى ميانه - حبيب الله أبو الحسن شيرازى - دفتر مطالعات سياسى وبين المللى تهران ١٣٧ هـ ش

26- Perestroika, New Thinking For our Country and The World. Mikail Gorbachev. New York1987

27- The political philosophy of Perestroika Alexander yakov leve, Edition by Abel Aganbegyan, New york1988.

28-What's a Nation Problems of Cammunism, Hodnett (G)1967.



المحـــــــــــتوى

الموضوع	صفحة
تقديم	١
تمهيد	١١
المسلمون فى الجمهوريات الإسلامية (البعد التاريخى – الوضع الاجتماعى – الوضع الاقتصادى اللغة والثقافة – المذهب والدين – المسلمون فى الوقت الحاضر)	١٧
المسلمون الازبك	١٩
محاور الصراع فى الجمهوريات الاسلامية	٣٠
المسلمون فى كازاخستان	٣٩
المسلمون فى طاجيكستان	٤٩
المسلمون فى تركمانستان	٥٦
المسلمون فى قرغيزستان	٦٢
الآثار الناجمة عن السيطرة الروسية على مسلمى وسط آسيا	٦٧
علاقات الجمهوريات الاسلامية فى وسط آسيا	
بالروس	٧٧
بالايرانيين	٨١
بالعرب	٨٥
الجمهوريات والأقليم ذات الحكم الذاتى فى الاتحاد السوفيتى السابق	٩٠
مستقبل الجمهوريات الاسلامية فى وسط آسيا على ضوء المتغيرات الدولية.	٩٥
آفان التعاون الاقتصادى والسياسى بين جميع الجمهوريات الاسلامية فى وسط آسيا	١٠٣
آفاق التعاون الاقتصادى	١٠٧
أفاق التعاون السياسى	١١٢
المصادر والمراجع	١١٥

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١٩٩٤/٣٦٣٧